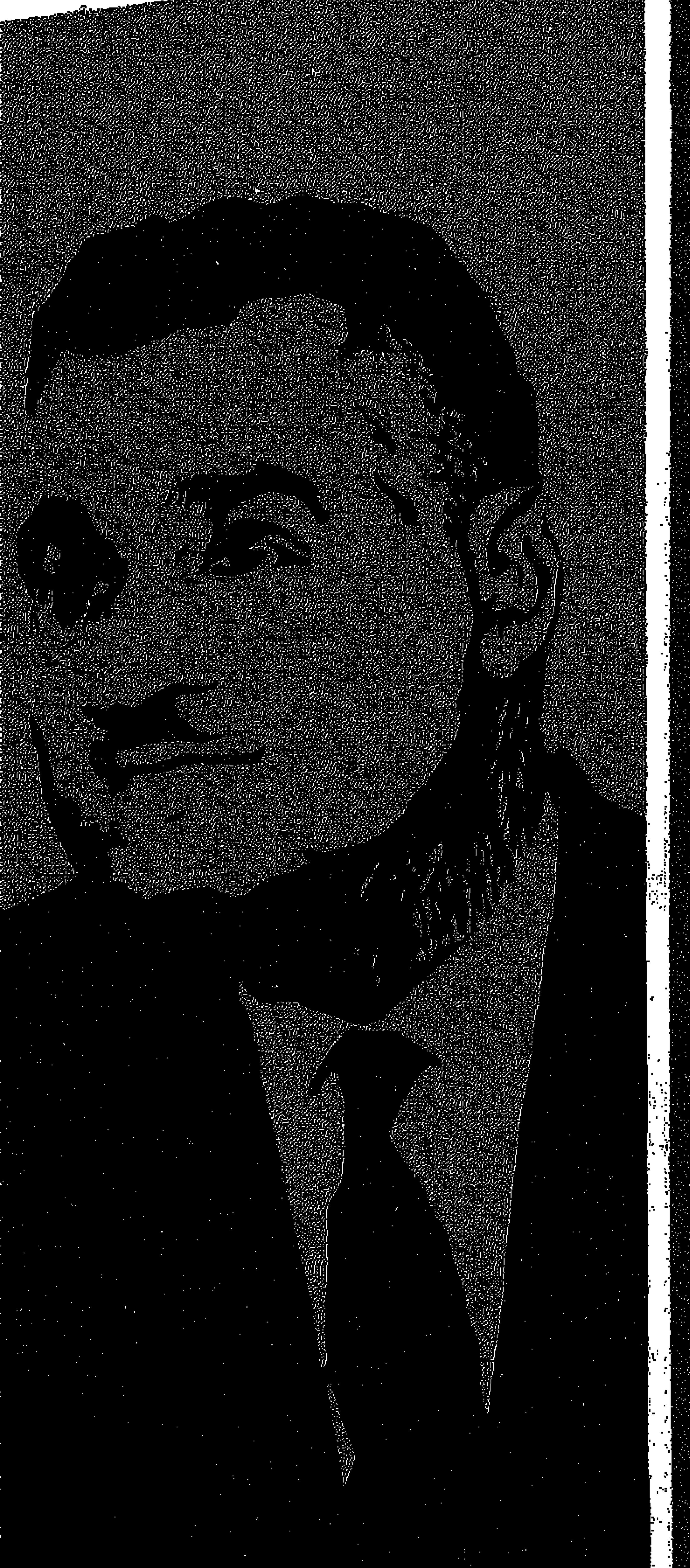
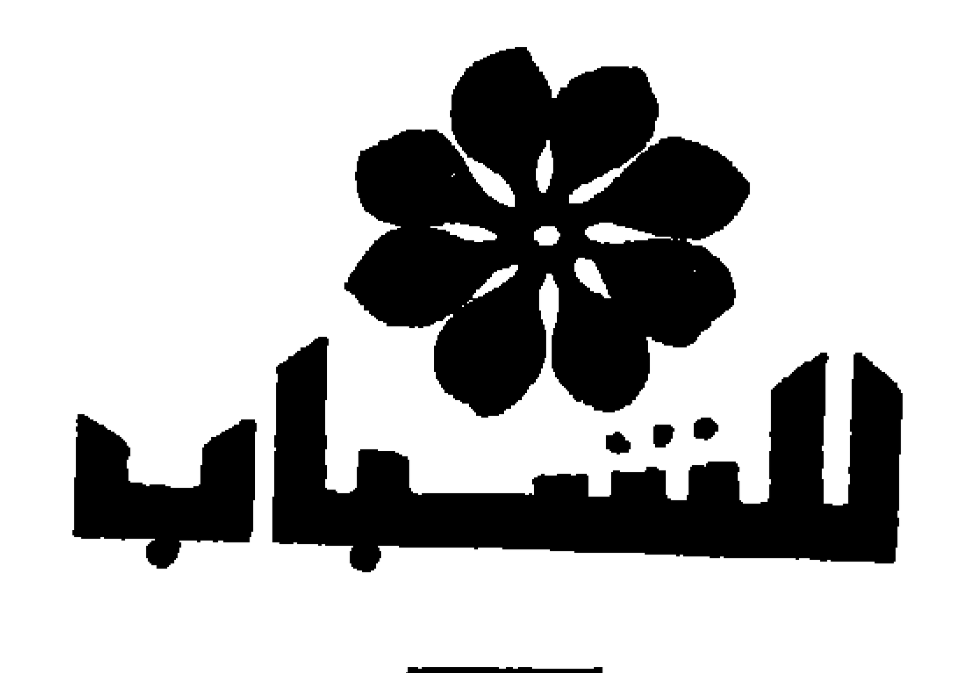
للشباب

من جمال عبد الناصر
إلى أبناء الثورة



معارك كفاح
ضد الاستعمار

نتيلة راشد



حكاية تفاح ضد الاستعمار

نبيلة راشد

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

يوليو ١٩٧١



من جمال عبد الناصر
إلى أبنــاء الثــورة

صمم الغلاف والرسوم

سـعد عبد الوهاب

كلمة صغيرة .. للأبناء الكبار

كنت صغيرة ، وحيّرنى شىءٌ مجهول لا أعرفه ؛ اسمه الاستعمار ..... وسألت نفسى ، كما سألتُ الكبار ، عن الاستعمار . . . ما الاستعمار . . . من هو ؟ وما شكلُه ؟ حيّرنى جدا هذا الاستعمار ، لدرجةِ أننى فى كثيرٍ من الأوقاتِ كنتُ أتخيلُ له أشكالا غريبةً وعجيبة ، ولاأنسَى أننى حاولتُ رسمَه مراتٍ ومراتٍ ، وفى كل مرة كنت أحسُّ أنه شىءٌ يختلفُ عن الرسم فعلا ، حيرنى جداً هذا الاستعمار ، ولا أذكر لهذا سبباً واضحاً ، ولكنى كنتُ أحسُّ فى أعماقِ أعماقى ، أنه شىء يقفُ ضدى شخصياً ، شىء يمنعنى من أن أكبرَ أو أنموَ ... وكرهته من أعماق أعماقى أيضا ... كنت لا أعرفُه ، وإنما أسمع اسمَه باستمرار .. كنتُ أسأل :

ـ لماذا لا يذهبُ كلُّ الأطفالِ للمدرسة ؟ لماذا لايتعلمُ كلُّ الناسِ ؟

والجوابُ :

ـ الاستعمارُ لا يريد لنا العلمَ ، ولا الحياةَ .

وأسألُ :

لماذا نحنُ فقــراء ؟

ـ يقولون : الاستعمارُ سرقنَا ونهبَ ثرواتِنا ...

ولا أتعبُ من السؤال :

ـ فلاحُ بلدنا يزرع القطنَ ... فى أرضِنا ... إذن لماذَا لانجد القماشَ .... لماذا تشتريه أمى بالبطاقة ؟

ـ بسبب الاستعمار والاحتلال ...

ـ لماذا ذهبَ ابن عمّى ولم يعد ... لماذا ذهبَ حسن .. وأيضا عَلىٌّ ؟

والجــواب :

ـ هما شهيدَا الوطن ضدّ الاستعمار ..

ـ ولماذا نسمعُ صفارةَ الإنذار .. صفارة الخطر .... ولماذا لا نرى غير الظّلام ... ؟

مرة أخرى بسبب الحربِ والانجليز .. والاستعمار

لماذا ... لماذا ... لماذا ؟ .. ودائما الجواب : الاستعمار ...

وكبرتُ ... برغم أنف الاستعمار ... ولما كنتُ فى مثل سنكِ ... بدأت أسأل الكتابَ ... وأسأل التاريخَ عن الاستعمار ... عن عدوّى القديم ...

أجابَ ، وحكى تاريخنَا الكبيرَ العريضَ ، حكاية كفاحنا ضد الاستعمار ... قرأتُ عن عمرَ مكرم ... محمد كريم ... وعرابي ... هذا البطل الذى كنت أحبه ، والزعيم مصطفى كامل ، والزعيم محمد فريد ... احترمتُ كفاحَه وصدقَه وقدرتُ وانحنيت إعجابا لنضال طلعت حرب ... وعبد الله النديم اعتبرته جدّى .. هكذا .... لماذا ؟ ... لستُ أدرى ... وكنتُ أتصور أننى حفيدة شهداء دنشواى الذين سقطوا برصَاصِ الانجليز ... برصاص الاستعمار.

وكرهت الاستعمارَ أكثر وأكثر ، فهو يقتلُ الأحرارَ الشرفاء .. يقْصِف عمْر الأبطال ، ويخنق بلدى بأقدامِه ، يعصرها بلا رحمةٍ ، فعاشت فى نزيفٍ حادٍّ لسنينَ طوَال ... وعرفتُ أنه ليس عدوّى وحدِى .. بل هو العدوُّ الأوّلُ لهذا الشعب ... وعرفتُ قصةَ نضالِ هذا الشعب ضدَّ الاستعمار.

تاريخُنَا يقول : إن شعبَنَا قاتلَ وكافحَ وناضلَ ضدَّ الاستعمار .. وقدَّم الشهداءَ بسخاءٍ .. إنها سيمفونيةُ بطولةٍ

عزَف أنغامَها هذا الشعب ، بلا تعبٍ ولا مللٍ سنينَ طوالا من الصعب حسابُها ... إنها سيمفونيةُ البطولةِ والشرف .. أحلى نغم ....

●

ومن بين الشهداءِ ، الثائرُ جمال عبد الناصر .. الفارسُ العربىُّ الذى توّج كفاحَ أجدادِه الأبطال ... واليوم ... وبعد أن أصبحتُ أمًّا لثلاثةِ ابناء سألونى هم أيضا عن الاستعمار ... من هو ... وما هو ... وما معنى الاستعمار ؟

نفس السؤال ... والإجابة فى هذه المرة يحكيها كاملةً ، ابنُ مصرَ الثائرة .. يحكيها : جمالُ عبد الناصر ... يحكى لنَا قصةَ كفاحِ هذا الشعب من أجلِ السَّلام ... من أجل الاشتراكية ... من أجل الديمقراطية ... من أجلِ الوَحْدة العربية ... من أجل فلسطين ... ومن أجلِ الحرية وضد الاستعمار ...

وهو يَروى هنا على هذه الصفحات قصةَ نضالِ الشعب ضد الاستعمار لنعرفَه ونفهمَه ، ونكافحَ ونُقاتلَ الاستعمار... فلا يكفى أن نكرَهه ، إنما لاَ بُدَّ من النِّضال ... والقتال...

وهذه الأفكارُ أفكارهُ هو ، وهذه الكلماتُ كلماتُه هو .. كلماتُه البسيطة ... جمعتُها لكم من خطبه وأحاديثه لتحكىَ



لكم حكايةَ كفاحِنا ضدّ الاستعمار .. والراوى جمال عبد الناصر
واحدٌ من الثُّوار... عاهدناه ، وأقسمنا كلنا يومَ ودَّعنا :

بالجيش ... بالشعب ... حنكمل المشوار ...

بالروح ... بالدم .... حنكمل المشوار ...

نتيلة راشد

ماما لبنى

جو الأسرة وأيـــام الطفولة

إنى الأبن الأكبرُ لأسرةٍ مصرية .. من الطبقةِ المتوسطةِ الصغيرةِ .. كان أبى موظفاً صغيراً فى مصلحة البريد .. مرتبُه الشهرىُّ حوالى عشرين جنيهاً . وهو مرتبٌ يكفى بصعوبةٍ لسدِّ ضروراتِ الحياة .

وُلدْتُ فى الأسكندرية .. لكنَّ ذكرياتِى الأولى كلها فى قرية « الخطاطبة » وهى قرية تقع بين القاهرة والأسكندرية حيثُ كان أبِى يعملُ وَكيلاً للبريد .

كنّا دائماً أسرةً سعيدةً .. يحكمها أبِى .. وأمّى ، كنا نتفانَى فى حبها .. أنا وأخوتى .

وظللتُ مرةً أحاول أن أفهمَ عبارةً كثيراً ما هتفتُ بها ، طفلا صغيراً حينما كنتُ أرى الطائراتِ فى السماء :

« ياربنا ياعزيز .. داهية تاخد الانجليز »

اكتشفتُ فيما بعدُ أننا ورثنَا هذه العبارة عن أجدادِنا على عهد المماليك ولم تكن يومَها منصبة على الإنجليز .. تغيَّر اسم الظَّالم .. كان أجدادُنا يقولون :

« يارب يا متجللي .. اهلك العثمللي » .

وفى سنة ١٩٣٠ ، وأنا شابٌ صغيرٌ (١٢ سنة) كنتُ فى المدارِس الثانوية بالإسكندرية ، فى السنةِ الثانية الثانوية (ما يعادل الثانية الإعدادية الآن) ، وفى ميدانِ المنشيةِ بالذَّات ، كنتُ أنادى بالحريَّة ، وأنادى بالاستقلال .. كنا فى هذا الوقت صغارًا ، وكنا نُنادِى بهذه الألفاظ ولم نكن نعرفُ لها معنى ، فقد وُلدْنا فى عهد الاحتلالِ والاستبدادِ ، فلم نتمتع بالحريةِ .. لم نعرفْها ..

كنَّا ننادى بالحريةِ والاستقلالِ ، مشاعر ورثناها من أجدادِنا وآبائِنا .

وكنتُ طالباً أمشى معَ المظاهراتِ ، وكانَ الرّصَاصُ يُطلَقُ فى المظاهرات وكان الطلبة يموتون فى الشوارع .. كنا نرى الرصاصَ يصرعُ إخواننا .. ولم يشعر أحدٌ منا بالخوف ..

أذكر أنني أعجبتُ في طفولتي بعدد كبير من الأبطال ، أعجبني «غاندي» كثيراً . وعندما كنتُ صبياً أتلقّى دروسَ الدين في المدرسة ، استحوذ سيدنا محمدٌ عليه الصلاة والسلام على كل إعجابي وتقديري فقد كان قائداً وزعيماً كرّس حياته لخدمةِ قومه وتحريرِهم من ظلمةِ الجاهليّة وضلالِها .

وكان أبي قلقاً بسبب آرائي السياسية حتّى أيام التلمذة فقد سجن أخوه أيامَ الحرب العالميةِ الأولى بتهمة الإثارة السياسية ولذا كانت مخاوفُه طبيعية .. كان يخافُ أن يحُلَّ بي ما حَلَّ بعمّي ..

•

وكثيراً ما سُئلتُ : متى أصبحتَ ثورياً لأوّل مرةٍ ؟

وهو سؤالٌ تستحيلُ الإجابة عليه .. فهذا الشعور نتيجةَ ظروفِ تكويني ونشأتي.. ونتيجةَ شعورٍ عامٌ بالسُّخط والتحدّي أحسّ به كلُّ أبناء جيلي في المدارس والجامعات .

ما زلت أذكرُ بوضوحٍ أوّل صدامٍ لي مع السُّلطة .. كنتُ تلميذاً في الأسكندرية .. لم أبلغ الخامسة عشرةَ من عمري .. كان ذلك سنة ١٩٣٣ .. وكنتُ أعبرُ ميدان المنشية في الاسكندرية ، حينما وجدتُ مظاهرةً واشتباكا بين قواتٍ من البوليس وبينَ التلاميذ .. رأيتُ أفراداً من

الجماهير فى صدامٍ مع السلطة . لم أتردَّدْ ، انضممت على الفور إلى جانبِ المتظاهرين دونَ أنْ أعرفَ أيَّ شيء عن سببِ المظاهرة ، اشتركتُ مع النَّاس وضربتُ البوليسَ .

اتخذتُ موقفى دون تردُّدٍ فى الجانب المعادى للسلطة .

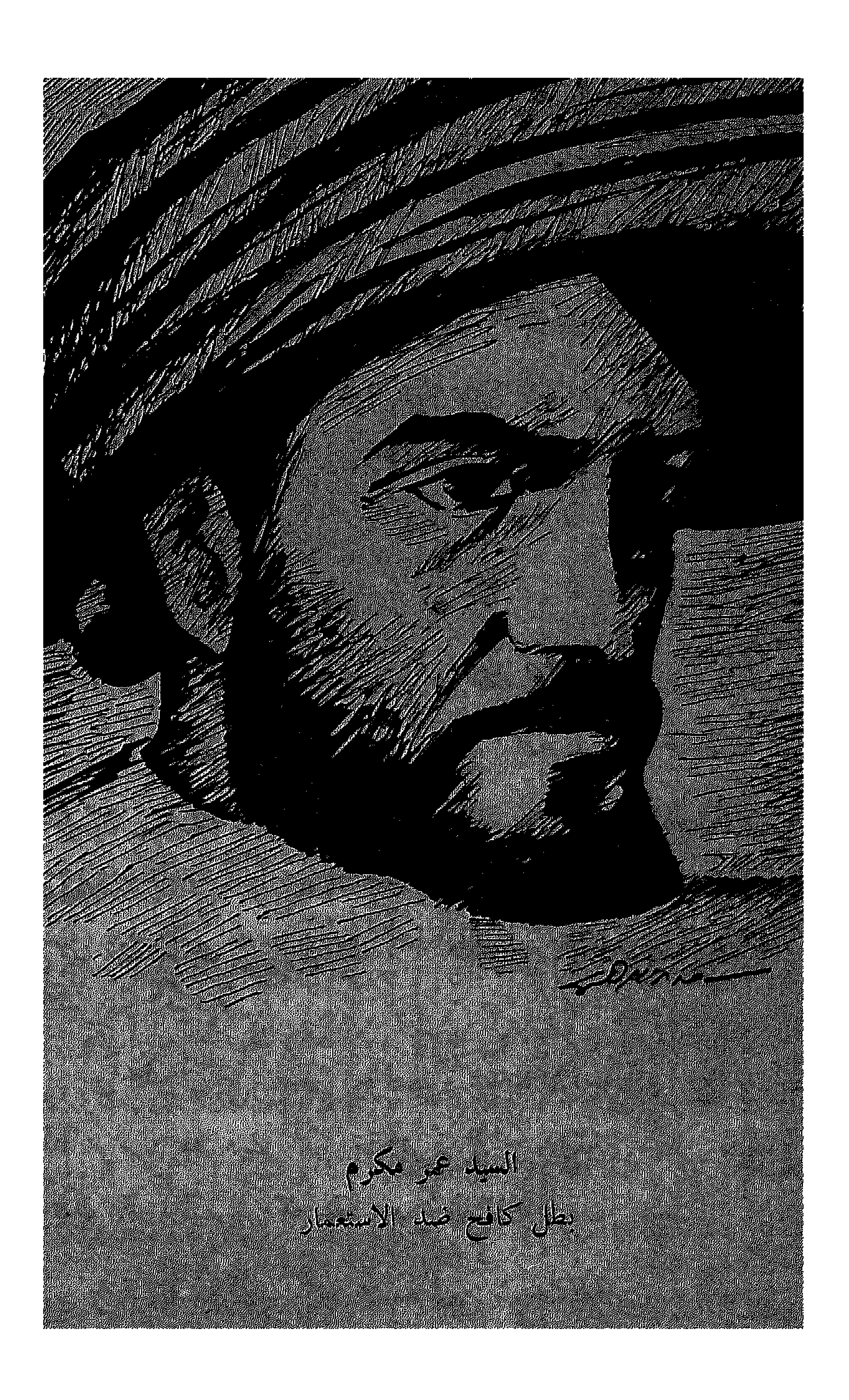
مرَّتْ لحظاتٌ .. سيطرتْ فيها المظاهرةُ على الموقف حتى جاءت عربتان «لورى» محملتان برجالِ البوليس وهجمتا علينا .

•

وإنى أذكر أننى حاولت – محاولةً يائسةً – فألقيت حجراً ، لكنهم أدركونا فى لمحِ البصر .. وحاولتُ أن أهرُبَ ، لكننى عندما التفتُّ هوت على رأسى عصا البوليس ، وحين سقطتُ تلتها ضربةٌ ثانية ، ثم شُحنتُ إلى الحجز والدم يسيلُ من رأسى مع عددٍ من الطلبة الذين لم يستطيعُوا الإفلاتَ ، بالسرعة الكافية ..

وأخذُونى إلى قسم البوليس . وهناك سألتُ عن سبب المظاهرة ، فعرفتُ أنها مظاهرة للاحتجاج .. على سياسةِ الحكومةِ نظَّمتها «جماعةُ مصرَ الفتاة» .

وبقيتُ بالقسم إلى أن حضر شيخ الحارةِ وأخرجنى بضمانه ..



السيد عمر مكرم
بطل كافح ضد الاستعمار

وكان أبى مصراً على معارضة مشاعرى وأعمالى الثورية ، فقد كان كلُّ أمله أن نحيا حياةً آمنةً بعيدةً عن المزعجات. أما أمّى فقد كانت تنظر إلى السياسة نظرَها إلى شىء لا يَعنيها ، وكانت العلاقةُ بيننا ، هى علاقة الحبِّ الخالص الذى يربط ما بين الأمِّ وولدِها .

•

بعد اشتراكى فى المظاهرة السياسية الأولى دخلتُ السجنَ... دخلته تلميذاً متحمساً ، وخرجتُ منه مشحوناً بطاقةٍ كبيرةٍ من الغضب ، وأصبحتُ رئيساً للجنةِ تنظيمِ المقاومةِ الساخطة ، ودخلت هذا الميدانَ بكل جوارحى . وضاق المسئولون فى المدرسة بنشاطى ، ونبّهوا أبى ، فأرسلنى إلى القاهرة لأعيشَ مع عمّى ، وألتحقَ بمدرسةٍ أخرى هناك .

وفى نفس البيت الذى كنت أعيش فيه مع عمى بالقاهرة، كانت تسكنُ بعض العائلاتِ اليهودية ـ لقد كان بيننا وبين اليهود كيهود روابطُ عديدة ، فموسى نفسه كانَ مصرياً ، وشعورى المعادِى وُلد فيما بعد بسببِ شىءٍ واحدٍ هو الحركةُ الصهيونية التى اغتصبَتْ جزءاً من الأرض العربية : فلسطين .

وفى تلك السنوات المبكّرة من عمرى حدثَ لى حادثٌ أثّر فى عواطفى أكثر مِن أى شىءٍ آخر .. فى تلك الفترة

لم أكن أكثر من رحلاتى لزيارة أسرتى ، ولكنى حين انقطعتْ أنباءُ أمىّ فترةً من الزمن سافرتُ لزيارةِ أسرتى ، ولما وصلتُ البيتَ لم أجدْ لها أثراً .. وعلمتُ أنّها قد ماتتْ قبلَ زيارتى بأسابيعَ ، ولم يجد أحدٌ الشجاعة الكافيةَ ليخبرنى بموتها .. اكتشفتُ موتها بنفسى .. بطريقة هزّت كيانى ..

إن فقدَ أمى فى حدِّ ذاته أمرٌ محزن للغايةِ ، أما أن أفقدها بهذه الطريقة فقد كان صدمةً تركت فىّ شعوراً لا يمحوه الزمن ، وقد جعلتنى آلامى وأحزانى الخاصة فى تلك الفترة ، جعلتنى أجد ضيقاً شديداً فى أن أسبِّب الآلامَ والأحزانَ للغير فيما بعد فى مستقبل السنين .

وعدتُ إلى القاهرةِ وبدأتُ نشاطى السياسى بصورةٍ أعنفَ من قبلُ ، وخفّفَ الزمن صدمتى ، ولكنى ظللتُ مبتعداً عن أسرتى لعدةِ سنواتٍ .

●

ومنذ عام ١٩٣٤ بدأتُ أقرأُ كثيرا عن مصطفى كامل .. قرأتُ تاريخَ حياته ومقالاتـه الوطنية الحماسية وقرأتُ مؤلفات توفيق الحكيم والدكتور طه حسين ، بالإضافة إلى مجموعةٍ كبيرة من القصص والتراجم والأسفار .. وكنتُ أجد متعةً عند قراءةِ الكتب عن الثورة الفرنسية وأعجبنى فولتير

وقرأتُ لشارلز ديكنز . وكنتُ أهتم اهتماماً خاصاً بقراءة كلِّ ما يتصلُ بتاريخِ مصرَ منذ القرن التاسع عشر ، وعندما كنتُ طالبًا بالمدرسة الابتدائية ساءني أن أقرأ في كتابِ التاريخ أن نابليون قد غزا مصرَ وأنه قد وضعَ مدافعه فوق تلال المقطم ، وأمطر القاهرة بوابلٍ من القنابِل..

•

وفي تلك الأيام ، قدتُ مظاهراتٍ وكنتُ طالبًا في مدرسة النهضة وصرختُ من أعماقي بطلبِ الاستقلال التام .. وصرخ ورائي كثيرون ، ولكن صراخنا ضاعَ هباءً ... وفي سنة ١٩٣٦ تكررت نفسُ القصة هنا في القاهرة على كوبرى قصر النيل... شبابٌ ماتوا ، كل واحد فيهم فدَى بلده بروحِه ، لم يكن يفكرُ في نفسه بل كان يفكرُ في بلده ، ورأيتُ الشعبَ ينادي نفس النداءات التي كان ينادي بها سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩١٩ والتي كان ينادي بها أيام عرابي .. كنا نناديِ بالحريةِ والاستقلالِ ، أحاسيس توارثناها جيلاً عن جيل .. مشاعر تعاقبنا عليها في هذا البلد من أبٍ إلى ابنٍ .

وتخرجتُ في سنة ١٩٣٨ (٢٠ سنة) في الكلية الحربية بالعباسية برتبة : ملازم ثان ، وعينتُ في منقباد بالقرب من أسيوط في الصعيد .

إذن متى كانَ ذلك اليوم الذى اكتشفتُ فيه بذورَ الثورةِ فى أعماقى ؟

إنه بعيدٌ .. وتلك البذور لم تكن فى أعماقى وحدى .. وإنما وجدتها فى أعماقِ كثيرين غيرى .. هذه البذور وُلِدت فى أعماقنا حين ولدنا ..

ولدنا والانجليز فى مصر .. ولدنا فى عهدِ الاحتلالِ ..

جيلُنَا هو الجيل الذى قاسى الألم والعذاب من رؤية جنود الاستعمار البريطانى يحكمُون أرضه .. لقد كنا لمدةِ خمسة وسبعينَ عاما .. عبيداً للاستعمار البريطانى لم نحس يومًا بالحرية .. لم نتمتع بالحريةِ والاستقلالِ .

بل كنا فى الماضى ننظرُ إلى المستقبلِ ونأملُ فى الغدِ .. وكل واحد فينا يكلم أخاه ويقول :

متى نتخلص من الاستعمار ؟

لماذا يحرمنا الاستعمار من حريتنا ؟

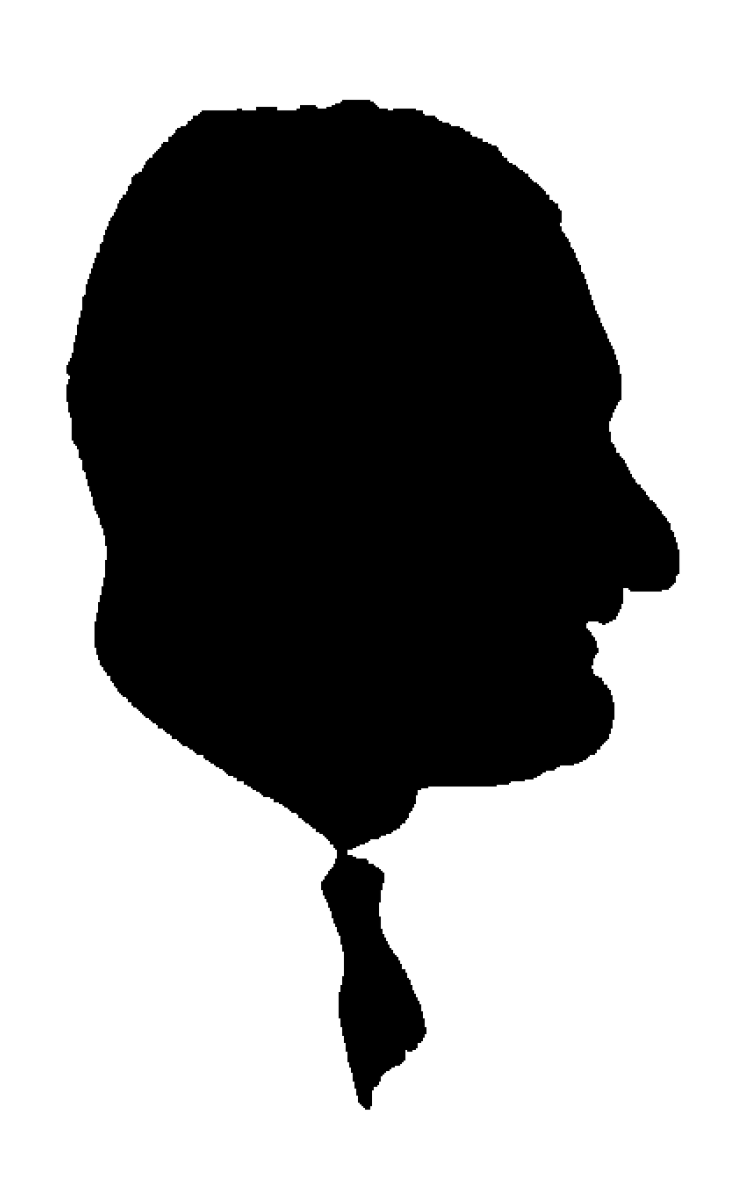
لماذا يحرمنا من لقمة عيشنا ؟

لماذا لايكون لنا حقٌ فى الحريةِ والمساواةِ ؟

لن ننسى الماضى .. بل سنأخُذُ من الماضى عظةً ، وعبرةً

سنهتم بالتاريخ ..

ولابد لكل مواطنٍ عربيّ فى كل بلد عربيّ أن يعرفَ التاريخَ ويعرف الحقيقةَ ..



بداية عهود الظلام

إنى لا أريد أن أدّعى لنفسى مقعدَ أستاذ التاريخ .. فذلك آخرُ ما يصل اليه خيالى .. ولكنى سأحاولُ محاولات تلميذ مبتدىء فى التاريخ .

منذ سنين طويلة .. من الصّعب حسابُها .. وبلادُنا تعيشُ تحت أوضاعٍ محزنة .. أمّتُنا العربية لها مكانتها التاريخية .. ولكن لم يبق منها إلا حكاياتٌ وأساطيرُ ..

كنا دائما نردد ونقولُ : عندنا موقعٌ استراتيجى من أهم المواقع الاستراتيجية .. عندنا ثروات طائلةٌ .. عندنا قوة بشرية هائلة .. نعم عندنا .. وكل هذا يجب أن يكونَ أسبابَ قوة .. ولكنها لم تكن أسبابَ قوّةٍ .. بل كانت أسبابَ ضعفٍ .. فمنذُ أكثر من ألف سنة .. ووطننا يحكمه الغزاة .

كان الموقفُ الاستراتيجى الذى يمثل القوةَ هو سبب

احتلالنا وكانت الثروات الطائلة التى يجب أن تمثل القوة هى سبب احتلالنا .. احتلالنا لأجل سرقة هذه الثروات .

مرت بنا ظروف كثيرة .. مرت علينا فى العصور الوسطى .. وتلك الظروف هى التى وصلت بنا إلى ما نحن عليه الآن . فلقد تحمل شعبنا وحده معظم أعباء الحروب الصليبية وخرج بعدها فقيراً .. معدماً ..

كانت الحملات الصليبية فى الأصل استعماراً يهدف إلى السيطرة والتحكم..وبرغم ضعف الأمة العربية وتفككها وانقسامها فإن العرب فى جميع البلاد العربية هبوا ليدافعوا عن أراضيهم وليواجهوا الخطر والاستعمار الغربى ، الذى غزا أرضهم باسم الدين ..

لم تكن الحروب الصليبية سوى استعمار بريطانى فرنسى .. ولم ينخدع المسيحيون العرب بهذا الاسم .. اسم الحملات الصليبية .. لأنهم كانوا يؤمنون بأرضهم وسمائهم .

واستمرت الحرب طوال سنوات عديدة .. غزو مستمر. وحملات مستمرة بقيادة ملك فرنسا وملك بريطانيا .. حملات تنادى بأنها تغزو البلاد العربية باسم الدين .. ولكن كان هدفها : الاستعمار ..

استطاع الصليبيون فى أول الأمر ، أن يحتلوا فلسطين ويستولوا عليها .. واستطاعوا أن يحتلوا بيتَ المقدس .. وبعد أن استقروا فى فلسطين أرادوا أن يتقدموا نحو مصر .. تقدموا من فلسطين لغزو مصرَ .. واستطاعوا أن يصلوا إلى الشرقية «وبلبيس» ، ويصلوا أيضاً إلى أبوابِ القاهرة ، فاتحدت سوريا ومصر ، فقد أرسل السلطان « نور الدين محمود » جيوشَه إلى مصرَ لتعاونها فى صدِّ الغزاةِ الصليبيين . واستطاعت جيوشُ مصرَ وسوريا التى اتحدت أن تهزم الصليبيين ، وأن تردَّهُم عن أبواب القاهرة.. وأن تردَّهم إلى حدود فلسطين..وطردَ الغزاةُ

وظلت القواتُ الصليبية أو القوات الاستعمارية الأوروبية التى تختفى وراء اسم الصليب مُحتلةً فلسطين .

وهجم الصليبيون على دمياط بقيادة «لويس» ملك فرنسا ، واحتلوا دمياط وسارت الحملة من دمياط إلى المنصورةِ .. سار «لويس» من دمياط إلى المنصورة بجيوشِه وفرسانه .. فماذا كان شعور هذا الشعب ؟

إن هذا الشعبَ لم يسلِّم ولم يستَسْلم .. بل إن شعب مصْر فى هذا الوقت اكتشف نفسَه ، واكتشفَ أنه لابدَّ أن يقاتل .. كانَ كلُّ فرد من أبناء الشعب يؤمنُ بنفسه وبوطنهِ ،



فخرج الشعب فى كلّ مكان ، خرّج الفلاحون ما بين دمياط والمنصورة وحاصروا القوات الفرنسية ، وصدوا الفرنسيين .. وهزموا الفرنسيين وأسروا ملك فرنسا .. ودفع ملك فرنسا الفدْية ليجلو ويخرج من هذا البلد الذى اعتدَى عليه .

وعاد ملكُ فرنسا إلى بلده ليجهزَ حملةً أخرى ليعتدىَ مرة أخرى على هذا البلد ، فماذا كانت النتيجةُ ؟

هبَّ هذا الشعب السَّاخِر الذى كان يقابلُ المحنَ بالابتسامة

هبَّ هذا الشعبُ الذى يستشهدُ فى سبيل حريته واستقلاله لينظِّم القصائدَ وينذر ملك فرنسا ويقول له : إننا فى انتظارك ، وإن «دار ابن لقمان» التى أسرتَ فيها فى انتظارك ، وإنَّ القيد الذى قيدت به فى انتظارك .

هذه هى روحُ الشعبِ وهى على مرِّ السنين وعلى مرِّ الأيام لم تضعُف ولم تتبخر ،ولم تؤثر فيها بأىِّ حالٍ من الأحوال المؤامرات ومحاولاتُ الغزو والسيطرة .

بعد تلك الحملةِ الصليبية على مصر ، بعدَ عشرين سنة من طرد الصليبيين من القاهرة هاجَموا سوريا ، فاتحدت مصرُ مع سوريا مرة أخرى لنجدةِ الشعبِ العربى فى سوريا وانتصر صلاحُ الدين فى معركةِ حطين سنة ١١٨٧م .. واستطاع صلاح الدين أن يأسر ريتشارد ملك انجلترا قائد الحملات الصليبية . وبالرغم من أن الاستعمار الصليبى استمرَّ فى بعض الأماكِن أكبرَ من ثمانين سنة .. بالرغم من هذا لم ييأس العرب بلْ كافحوا وكافحوا حتى طهروا وطنهم من الاحتلال الأجنبى وهبَّ الشعبُ

العربيُّ المسلمُ والمسيحى جنباً إلى جنب وكتفاً إلى كتف ليدافعوا عن أرض آبائهم وأجدادهم . واستطاعت الجيوشُ السوريةُ والمصريةُ أن تُحرِّرَ فلسطين وتحرر القدس وخرج الصليبيون من فلسطين . وكان النصر فى الغزو الاستعمارى الذى قامت به بريطانيا وفرنسا تحت اسم الصليب .

هذا هو تاريخُنَا القديم

ونأخذ منَ التاريخ عبرًا أخرى .

هاجمت جيوشُ التتار هذه المنطقةَ من العالم .. المنطقة العربية فى وقت الحروب الصليبية .. وكانت جيوش التتار القادمة من أواسط آسيا مشبعة بالنصر .. انتصرت فى جميعِ المعاركِ التى خاضتها وأخضعت جميعَ الشعوب التى أغارت عليها .. ووصلوا إلى بغداد .. وسقطت بغداد فى أيدى التتار ..

دخل « هولاكو » بغدادَ .. أخضعها ودمَّرها وأنهى حكمَ العباسيين ثم عبَرتْ جيوشُه « الفرات » إلى سوريا لتستمر فى الفتح والغزو .. ودخلت جيوشُ التتار سوريا .. وكانت فى هذا الوقت تحاربُ معركةَ الحرية .

قامت سوريا لتحاربَ وتصدَّ التتار .. وهبَّت جيوشُ مصرَ لتحاربَ مع سوريا هذه المعركة ضدَّ المعتدين الذين لم ينهزموا

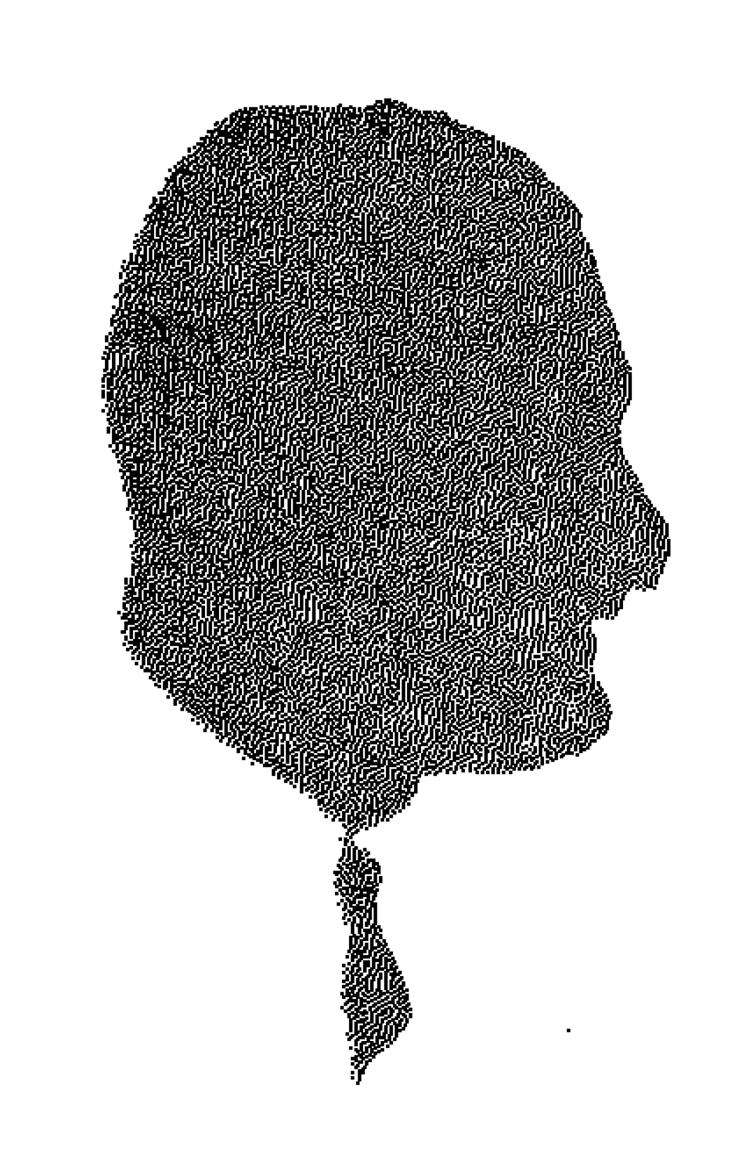
فىمعركة منذ قيامهم . واستطاعت جيوشُ مصرَ وسوريا أن تهزم التتار فى معركة «عين جالوت» سنة ١٢٦٠م وانسحبوا من الأراضى العربية حتى عبروا نهر « الفرات » .

هزمنا الجيوشَ الصليبية التىكانت تمثلُ الاستعمارَ الأوربى

وهزمَ العربُ جيوشَ التتار التى انتصرت فى جميعِ معاركها ..

كافحَ العربُ وذاقوا حلاوةَ الاستشهاد من أجلِ إقامةِ الحرية التى كانوا يعملونَ من أجلها ..

هذا هو معنى النصر .. وهذا هو درس التاريخ ..



حكم الوحوش

استمرَّ وطننا على مرِّ الزمن يكافحُ كفاحاً مرًّا في سبيل تحقيق الحريةِ والاستقلالِ والسّلام ، فمنذ ٥٠٠ سنة والمماليك يفرضونَ علينا ألا نتقدم أو نتطور .. وأن يَظلَّ وطننا أسيرَ الظلامِ .. ظلام القرون الوسطى وخرافاتها ، وأصبح الطغيانُ والظلمُ والخرابُ طابعَ الحكم في مصر على عهدهم .

في تلك الفترة تحوَّل وطننا إلى غابةٍ تحكمها وحوشٌ ضارية .. كان المماليك يعتبرونه غنيمة ، وكان الصراع الرهيب بينهم يجرى على نصيبِ كلٍّ منهم في الغنيمةِ .

وكانت أرواحُنا وثرواتُنا وأراضينا هى الغنيمة ..

وكافحَ هذا الشعبُ سنينَ طويلة ، لم يُسَلِّم ولم يستسلم برغم ما قابلَه من صعابٍ . كافحَ استغلالَ الحكم العثمانى

لحسابِ أمير المؤمنين كَما كانَ السلاطين فى آل عثمان يسمون أنفسهم ، كافحَ هذا الشعبُ ضد الاستعباد .. وضد الاستبداد .. كافَحَ هذا الشعب ضد الاستبدادِ الداخلى ففى أواخرِ القرن الثانى عشر ، قام الشعبُ يطالب بحريته وبدستوره وبحقه فى الحياةِ . قام الشعبُ المصرىُّ وطالب الأمراءَ والمماليكَ بأن يشتركَ فى حكمِ الوَطن .. أن يشترك فى تصريفِ أموره . ورفضَ الأمراءُ ..

ولكن الشعبَ أجبرَ الأمراءَ .. أجبرَهم أن يُطيعُوا رغبتَه .. ووقّــع الأمراءُ فى أواخر القرن الثامن عشر وثيقةً بناءً على رغبةِ الشعب ، وبناءً على طلب الشعب وقالوا فى هذه الوثيقة :

« إن الأمراء تابوا ورجعُوا والتزمُوا بما شرطَه الناس ».

وانعقد الصلحُ بشروطٍ منها : أن يتوقفَ أتباعُ الأمراءِ عن مَدِّ أيديهم إلى أموالِ الناس .

أجبر الشعبُ الأمراءَ على توقيع وإعلان هذه الوثيقة . واطمأنَّ الشعبُ وآمنَ .. ولكن هل نفّذَ الأمراءُ الوعدَ ؟ وهل عملوا بما وقّعوه ؟

أبدًا .. اطمأنَّ الشعبُ وخدعَه الأمراءُ .. وعادُوا

يسيطرون ويتحكمون ويستبدون بالشعب وبحريتـه فهل سلَّم هذا الشعب ؟ هل استسلم ؟

لا .. لم يسلّم أبداً .. ولكنه كافحَ كفاحاً طويلا . كافح ضدّ سيطرة الوالى التركى وطالبه بأن يشترك فى حكم نفسه بنفسه .. وبأن يقيمَ له دستوراً ليدبّر به شئونَ البلاد . ولكن الوالى العثمانى قال :

ـ « إننى هنا والٍ بأمرِ السلطان ولا يمكن أن ألبّىَ رغبة الفلاحين »

فاجتمع الشعبُ وعلماءُ الشعب وقرّروا عزل السلطان وعزل الوالى . وكتب ممثلو الشعب ووقّعوا وثيقةً تقول :

« إن للشعوب الحقّ فى أن يقيموا الولاةَ وأن يعزلُوهم إذا انحرفوا عن العَدل وسارُوا بالظُّلم لأنّ الحكامَ الظّالمين خارجون عن الشريعةِ الإسلامية .. »
وقال الوالى :

ـ « أنا لا يمكن أن أعزلَ بأمرِ من الفلاحين .. أنا لا يمكن أن أعزل إلا بأمر من السُّلطَان . »

ولكن الشعبَ عزل الوالى (خورشيد باشا) بإرادته .. وَوَلّى الشعبُ بإرادته « محمد على » كحاكم جمهورى سنة

١٨٠٥ .. وطغى « محمد على » واستبد .. ولا لوم على الشعب فليس « محمد على » أول من خان العهود .

فهل استسلمَ الشعبُ ؟ لم يستسلم .. ولم يسلِّم .. بل كافحَ ضد السيطرة الداخلية .. وضد الاعتداء الخارجى لينالَ حقَّه ..



بدأت اليقظة ولكن بأزمة جديدة

نعم .. كافح الشعبُ بعزمٍ ضـــدّ العدوان الخارجى أيضاً .. فموقعُ مصرَ الجغرافى والاستراتيجى الهام كان دائماً نقطة الضعف بالنسبة لها ، ولهـــذا الموقع الممتاز تسابقت الدولُ إلى احتلالها .. فى عام ١٥١٧ احتلّها الأتراكُ لأنها كانت تسيطرُ على طريقِ التجارةِ والمواصلات إلى الشرقِ ، ولنفس هذا السبب احتلها نابليون فى عام ١٧٩٨ ثم بريطانيا عام ١٨٨٢ .. لذلك كان هدفُنا أن نجعل من هذا الضعف قوة .

ولكن كم من دولة غزت مصرَ ثم ذهبت وبقيت مصرُ لقـــد وقف الشعب المصرى دائماً فى وجه الغزاة .. وإذا نظرنا للتاريخ نجدُ أنّ مصرَ لها ماض مجيدٌ فى المقاومة ، ونجد أن جماهيرَ الشعب قاومُوا وصدُّوا الفرنسيين سنة ١٢٥٠م .. كما قاسى منهم نابليون الأمرّين فى سنة ١٧٩٨ .

وكان « نابليون » قد هـــزم أوروبا كلـّها .. هزم كل دولة من دول أوروبا . وحينما أتى بحملة إلى مصر لإخضاعها وتقدم بأساطيله وقواته ، واستطاعت الحملة أن تـَصل إلى القاهرة ماذا كانت النتيجة ؟

استطاعَ نابليون فى هذه الفترة أن يقـَاتل ، ولكنه وجد أمامَه شعباً يقاتلُ ويضحـِّى .. ضرَب الأزهرَ بالمدافع .. ضربَ البلدَ بالمدافع وحرقه ؛ ولكن كانت التنظيماتُ الشعبيةُ تهاجمُ الفرنسيين باستمرارٍ .. القاهرةُ لم تستسلم.. والاسكندرية لم تستسلم ..

استطاعَ نابليون أن يُخضعَ بعضَ المدن أو بعضَ القُرى فى بعضِ الأوقات ولكنه لم يستطعْ أبداً أن يُخضعَ الأمةَ كلها .. وعندما تقدم من القاهرةِ إلى الصّعيد ، ماذا كانت النتيجةُ ؟

لقد هُزمَ أكبرُ قوادِ نابليون فى المنيا وفى أسيوط وفى قنا .. وانسحب جيشُ نابليون من الصَّعيد بـــدون أن يُخْضع بلدةً واحـــدة من بلاد الصعيد ، برغم أنه لم تكن لدينا أساطيل أو مدافع .

ووجدت الحملةُ الفرنسيةُ أن الأشرف لها أن تنسحب ، ووجد نابليون أن من الخـــير له فعلا أن يعود إلى بلاده

برجاله وبجيشه .. لم يستطع نابليــون أن يبقى فى هذه البلاد كمستعمر ومحتل ، ولم يستطع نابليون أن يهزم مصر ، ولكن هزمتــه قوةُ الإرادة .. واستطاع هذا الشعب أن يقهرَ نابليــون الذى دوَّخ أوروبا ، واستطاعَ الشعبُ أن يسترد حريتَه .. وكان هذا نتيجة تصميم الشعب .

وبعدَ الحملةِ الفرنسية بدأ اتصالنا بأوروبا والعالم كله من جديدٍ بعد أن كُنَّا قد انقطعْنَا عن العالم .

وبدأت اليقظةُ الحديثةُ ، وبدأت بأزمةٍ جديدةٍ ، وتوالت ضربات الاستعمار ..

•

جاءت حملة « فريزر » إلى مصر فى سنة ١٨٠٧ ، وحاول الإنجليز فى هذه السنة أن يستولوا على مصرَ عن طريق الاسكندرية .. وجـــاء الجيش الإنجليزى ونزل فى « أبو قير » وتحرك إلى رشيـــد حتى يتحاشى الاسكندرية بعد أن حـــرق الأسطول بيوتَ ومنازلَ الاسكندرية .

ووصلوا إلى رشيد ، وكانت رشيدُ فى ذلك الوقت ليس بها من السلاح ما يتسلحُ به جنودُ الامبراطورية البريطانية .. أما الحكام ، حكام مصر فى هذا الوقت فكانوا يختلفون على السلطة ويختلفون على من يحتكرُ وينهبُ



أحمد عرابي
بطل كافح ضد الاستعمار

خيراتِ البلد ويأخذها لنفسه ولأولادِه من بعدِه ، بينما رشيـــد تقاتل الإنجليز ..

وكان هذا الشعب فى رشيد بدون أى قوةٍ مسلحةٍ ، لكن هل استكان الشعبُ الحرُّ الذى أراد أن يحقق الحريةَ والاستقلال مهما كان الثمنُ ومهما كانت الدماءُ التى يبذلها فى سبيلِ ذلك ؟

لا .. بل قامَ شعبُ رشيد ؛ رجالُه ونساؤه وشيوخه وشبابه .. قاموا ليدافعوا من أجل حريتهم وكرامتهم .. قام الشعبُ ولم ينتظرْ من حكامه أىَّ معونةٍ أو مساعدةٍ .. قامَ ليدافعَ عن حقّه فى الحرية وحقّه فى الاستقلال ويقاتلَ جنودَ الإمبراطورية البريطانية التى انتصرت فى هذا الوقت على الدولِ الكبرى وارتفعت أعلامها فى جميعِ أرجاءِ العالم .

●

كان الشعبُ الأعزلُ من السلاح يقاتلُ بقوةٍ وإيمانٍ بحقه فى الحرية والحياة ضدَّ الغزاةِ الذين أرادوا أن يسيطروا علينا ويستعبدونا فماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجةُ أن الانجليزَ الذين تحاشوا الاسكندرية ، تصدّى لهم أهل رشيد وهزموهم واستولوا على السلاح ..

انتصر شعبُ رشيد وهُزمت الامبراطورية البريطانية ..

كانت النتيجةُ بعدَ هزيمة جيوش « بريطانيا العظمى » أن أسرتْ رشيد نصفَ قواتِ بريطانيا وقتلتْ نصفَ القوات ، ووقّع « الجنرال فريزر » قائدُ الحملة البريطانية شروط التسليم فى رشيد وعادوا من رشيد منهزمين .

وهكذا فر المستعمرُ المسلّح أمامَ الشعب الحرِّ الأعزلِ بعد أن كانت الإمبراطورية البريطانية فى هذا الوقت تعتقدُ أن مصرَ سهلةُ المنال ، وتعتقد أنها تسير فى نزهةٍ قصيرةٍ حتى تحتلَ مصر وتسيطرَ على مصر ، وحتى تستعبد شعبَ مصر .

●

وانهزمت الامبراطورية البريطانية مرةً أخرى أمامَ الشعب الذى اكتشفَ نفسَه واكتشفَ إيمانه والذى صمم على حقّه فى الحريةِ والحياةِ ، لم ترهبه الأساطيل ولم ترهبه الإمبراطورية البريطانية .

ولو عدتم لتاريخ مصر لرأيتم الاستعمار وأسلحته تتحطّمُ أمامَ أبناء رشيد ، لا لأنه التقى بشعبٍ آمن بوطنه وبنفسه فقط ، بل لأنه لم يجد خائناً فى القومِ .

وكلنا كُنّا نهملُ تاريخنا ونهملُ الصفحاتِ الرائعةَ التى تمثلُ بطولةَ شعبِنا..لم نكن نحتفل بمعركةِ رشيد وبذكرى انتصارنا فى رشيد لأن الاستعمارَ وأعوانه كانوا دائماً يحاولون أن يجعلونا نتلهّى عن الاحتفال بانتصاراتنا باحتفالاتٍ أخرى وأمورٍ زائفة .

الخيانة ضربت الثورة من الخلف

إننا قد أخذنا الدروسَ الكبار فى سنى الاستعمار وفى سنى السيطرةِ والاستبداد .. لكن ماذا حدثَ لنا بعد عهدِ المماليك ؟ تحمَّل الشعب أعباءَ غزواتِ «محمد على» لتوسيع امبراطوريته لحساب آل عثمان وآل محمد على .. ثم ورثت أسرةُ محمد على كلَّ ظروف المماليك .. استغلالَ المماليــك لمصرَ على اختلافِ دولهم واستغلالَ الملوكِ والأمراءِ الدخلاءِ الذين لم تكنْ بلادنا تعنى بالنسبةِ لهم إلا كونها ملكاً خاصاً ينفقون خيراته كما يحلو لهم .

فاستمرَّ الشعبُ فى نضاله وكفاحه .. فالشعبُ لم يستكن بأىِّ حالٍ من الأحوال ، ولكنــه كان يشقُّ طريقه ليغيِّرَ حياته ومستقبله وليصنعَ حياته من جديد ..

وفى أواخرِ القرنِ التاسع عشر بدأ الشعْبُ يستعدُّ للعملِ الثوريِّ ، وقام عرابى فى سنة ١٨٨١ ينادى بما ينادى به الشعب وطالب الخديو أن يحقّقَ للشعب حريته وطالبَ بحقِّ الشعب فى أن يقرَّ الضرائب والقوانين وطالبَ أيضاً بالدستور.. ولكن الخديو رفض، واستعان بالقوةِ الأجنبيـــةِ فكان الاحتلال سنة ١٨٨٢ .

فى هذه السنة هاجمَ الانجليزُ الاسكندرية فى ١١ يوليه ١٨٨٢ وضربوها بالمدفعية وأحرقوها ثم نزلوا فيها وتقدموا إلى كفر الدوار .. وقام الجيشُ والشعبُ المصرى ليقاتلَ الانجليزَ فى الشوارع ، ووقف الانجليزُ أمامَ كفر الدوار ثلاثةَ أسابيع عاجزين عن كسر الخط المصرى .. وجدوا أمامهم الأجسامَ والأرواحَ تقف سدًّا منيعاً ضد محاولتهم السيطرة وضد محاولةِ الاحتلال .. ولم يستطعْ الانجليز بأى حالٍ من الأحوال حينما غزوْا مصرَ أن يسيطرُوا عليها عن طريقِ الإسكندرية ، بالعكس ، تقهقروا وانسحبوا أمامَ الجيش المصرى بقيادة عرابى واضطروا أن يعودُوا إلى الإسكندرية ويركبوا مراكبهم ، ثم تدخّلتْ الخيانة ..

عادوا ليدخلوا بلدَنا بالخديعةِ والخيانة .. فقد عادُوا ليدخلوا بلدنـــا عن طريق قنال السويس .. أتوْا من الباب

الخلفى .. من القنال .. وكانت هناك اتفاقية تمنع استخدام قناة السويس للأغراض العسكرية ، الاتفاقية تقول إن قناة السويس محترمة دولياً لا تستخدم فى العدوان . ، ولكن الحملة البريطانية استخدمت « دلسبس » الفرنسى حتى يسمح لها بأن تمر فى قناة السويس حتى تصل إلى الإسماعيلية بالخديعة والغدر وتحت اسم هذه الاتفاقية تسرب الأسطول البريطانى فى قناة السويس ودخلوا سراً إلى أن نزلوا فى الإسماعلية وتقدموا فى الإسماعلية والسويس إلى القاهرة . وتدخل « دلسبس » ، وتدخل « الخديو » الذى كان قد طلب منهم أن يحموا عرشه وقالوا إن الحملة أتت لتدعيم عرش الخديو ولحماية عرش الخديو وانقلبت فى الحال إلى استعمار وانقلبت إلى احتلال .. واحتلوا البلاد بالخيانة والغدر ..

واستولوا على القاهرة واحتلونا ٧٤ سنة .

●

وإذا ما قلبنا صفحات التاريخ ثانية ، وجدنا أن الاستعمار ينجح ويدخل مصر لا بقوة السلاح ولا بكثرة الجند لكن بفضل الخونة والمنافقين من أمثال « يوسف خنفس » ورجال الحكم فى ذلك الوقت وعلى رأسهم الخائن الأول : « توفيق » ، وإذا كنا قد هزمنا ، فإننا لم نهزم فى القتال ،

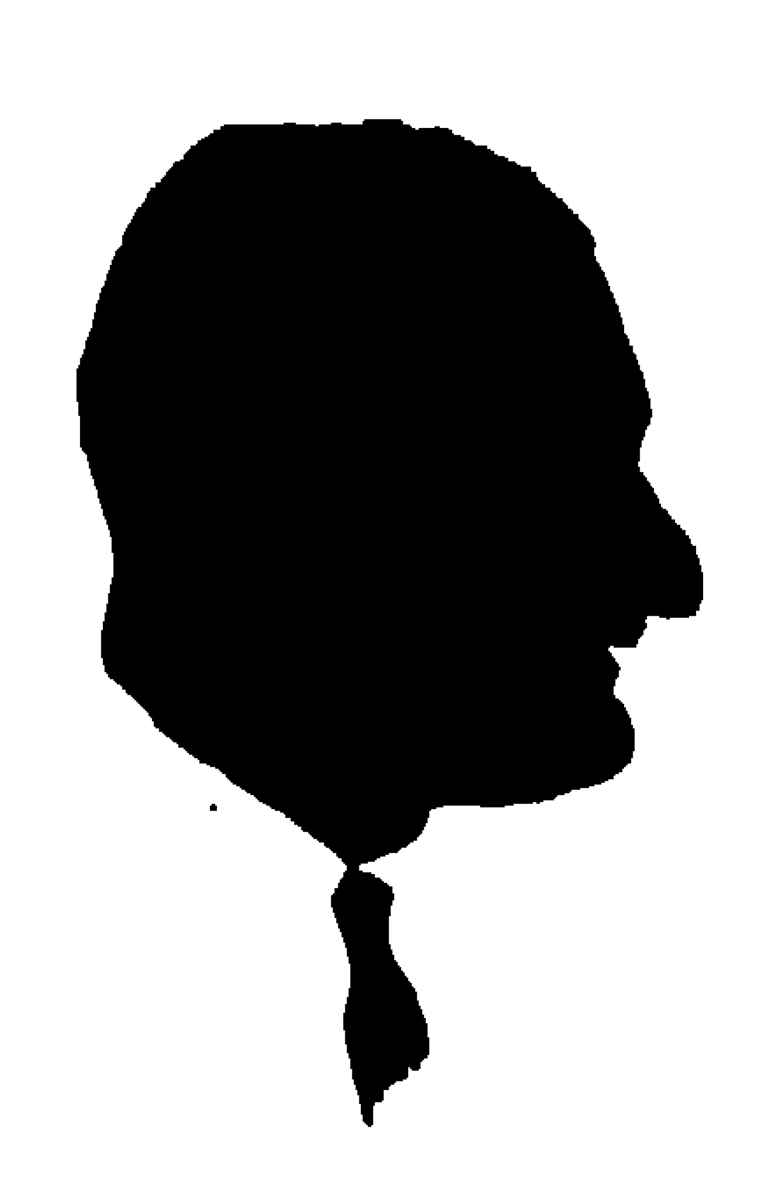
ولا لأننا جُبنًا أو هزبنا . انجلترا لم تحتلَّ أرضَنا لأننا قصَّرنا فى قتالهم . . أولأننا لم ندافع عن بلدنا وكرامتنـــا ولكن كان السببُ الأولُ والأوحدُ فى الهزيمةِ ،هو الخيانة .. كانت الخيانة موجودةً فى هذا البلد .. الخيانة ضربتْ الثورة من الخلف .. الخيانة المتحالفة مع الاستعمار .. ولم تصل « ثورة عرابى » إلى حيثُ كانت تستطيع ..

ولما جاء الاستعمارُ البريطانى بعد أن سحق ثورَة شعبنا بقيادة « عرابى » لم تحكم البلد صراحةً بضباطِ الانجليز لأن الاستعمارَ فى عصرنا الحديثِ يرى أنه من الأفضل ، حتى يصلَ إلى أهدافه ، أن يختفىَ وراءَ الستار وأن يديرَ المأساةَ من خلفِ المسرحِ ولا يظهرَ عليه .. وقبل أن يحل بأرضنا الاستعمارُ البريطانى كان الاستعمارُ التركى يتحكم فينا لا على أنه استعمارٌ يريدُ أن يسيطرَ ويستغلَّ ، وإنما كانت السيطرة والاستغلال تحت ستارِ جلالِ الخلافةِ ومهابةِ أميرِ المؤمنين ..

ثم بدأ الاستعمارُ البريطانى يجىءُ بالأصنامِ يضع منها فوق رءوسنا ملوكاً وأمراء .. كانوا أذلاءَ ضعفاءَ أمامه لأنه سيدُهم وخالقُهم . ومنذ أكثرَ من مائةٍ وخمسين سنة ووطننا تملكه أسرةٌ واحدة . . تملكه وتحكمه وتبعثر ثروته لحسابها

أو لحسابِ الأجنبي الذي اعتمدتْ عليه دائماً ليسندَ وجودَها..
وتاريخ أسرة « محمد على » فى مصرَ سلسلةٌ من الخياناتِ
التى ارتُكبتْ فى حقِّ الشعب .

وكنا فى الماضى ننظرُ إلى المستقبلِ ويسأل كلٌّ واحدٍ
منا أخاه : متى ينتهى هذا الوضع ؟



غدرت بنا بريطانيا

فى مطلعِ القرنِ العشرين بدأت تظهرُ فى الأفق طلائعُ الحريةِ بعد فترةٍ طويلة من سيطرةِ العثمانيين الذين خدعوا الأمةَ العربية تحت اسم الدين وتحت اسمِ الخلافةِ واسمِ أميرِ المؤمنين ..

وحينما قامتْ الحربُ العالميةُ الأولى وجدَ العربُ فيها الفرصةَ لكى يتخلّصوا من الحكمِ العثمانى وكنا قد قاسينا من الاستعمارِ العثمانى حوالى ٥٠٠ سنة . فاتفق العربُ مع الحلفاء من أجل تخليص بلادهم من الحكم العثمانى .

كان العربُ فى هذا الوقت يعتقدون أنهم إذا حاربوا مع الحلفاء ضدَّ العثمانيين فستصبح بلادهم بلاداً مستقلة .

وكان الحلفاء أيضاً فى هذا الوقت يعتقدون أنهم

إذا خلّصوا البلادَ العربيــة من حكمِ العثمانيين فستكون غنيمةً كبيرةً لهم .

نسيَ العربُ الذين تحالفوا مع انجلترا وفرنسا لأجل تخليصِ هذه المنطقة من الحكم العثمانى أن انجلترا وفرنسا هاجمتا هــذه الأرض العربيةَ تحت اسم الحملة الصليبية .

ولكن هل نسيتْ بريطانيا وفرنسا ؟

لقد استولت بريطانيا وفرنسا على هذه المنطقةِ العربيةِ منذ ٨٠٠ أو ٧٠٠ سنة .. وطُرِدتا منها .. هل نسيت بريطانيا وفرنسا هذا قبل أن تدخلا الحرب ضد العثمانيين والأتراك ؟

لم تكن مصادفة أبداً حينما وصلَ القائد الفرنسى « الجنرال جورو » إلى قبر « صلاح الدين » وقال :

– ها قــد عدنا « يا صلاح الدين » .

وفى نفسِ الوقتِ الذى كنا نحارب فيه بجوارِ بريطانيا وكنــا نحاربُ فيــه جنباً إلى جنبِ مع الحلفاء ، فى نفسِ الوقت كانت بريطانيا تتآمر مع الصهيونيةِ لتُعطيها قطعةً عزيزةً من الوطنِ العــربىّ هى : فلسطين .

غدرتْ بنا بريطانيا ، فبعد أن ساعدناها فى القضــاءِ على الامبراطوريةِ العثمانيةِ من أجل تحريرِ أوطاننا ، كان وزيرُ

خارجيةِ بريطانيا يعطى لليهود وعد «بلفور» سنة ١٩١٧ لأجل إقامةِ وطن قومى للصهيونية فى فلسطين . لكن ماذا حدث بعدَ الحربِ العالمية الأولى ؟

بعد الحربِ أمسكَ الحلفاءُ المنتصرون خريطةَ الدولِ العربية وقسَّموها بالقلمِ الرَّصاص : سوريا ولبنان لفرنسا .. والأردنّ وفلسطين ومصر والسودان والعـراق لانجلترا .. كل وعودِ الغربِ نقضَها ولم ينفذْها ..

غدرت بنا بريطانيا بعد الحربِ العالميةِ الأولى.. فبعدما انتصرت بريطانيا تنكَّرتْ لوعودِها وبدلاً من أن تعطىَ البلادَ العربية استقلالها قُسِّمت بينها وبين فرنسا .. وكانت النتيجةُ أن المنطقةَ العربيةَ لم تحصل على استقلالها بل أصبحت مستعمرات ، بعضُها تحتَ الاستعمار الفرنسى وبعضها الآخر تحت الاستعمار البريطانى ..

ولم يكن هذا هو الغدر الوحيـد الذى اتبعته بريطانيا .. فقد أعلنوا فى الحرب العالمية الأولى وعد بلفور وحققوا هذا الوعد فى سنة ١٩٤٨ وطردُوا الشعبَ العربى من فلسطين وأقاموا دولةَ اسرائيل الصهيونية فى إسرائيل.

كان هذا هو الدَّرس الذى تلقَّيناه بعـد الحرب العالمية الأولى .

الاستعمار فرق الأخ عن أخيه

ظلت روحُ هذا الشعبِ قويةً لم تضعف .. استطاعَ هذا الشعبُ أن يحافظَ على كرامته ومعنوياته مئاتِ السنين .. لقد مرّت علينا أزمنة طويلةٌ ونحن نجاهدُ ونكافحُ وقام فى هـذا الشعبُ رجالٌ ، ماتوا واستشهدوا ..

كافحَ الشعب ؛ وسجنَ من سجن.. وعذب من عذب.. واستشهد من أبنائه من استُشهد .. وقُتل من قُتل .. ومات من مات من.أبناء الشعب المكافحين الأحرار .. آباؤنا لم يبخلوا بالشهداء ..

ولكن الاستعمارَ الذى تآمر مع الصهيونيةِ العالمية من قبلُ، كان يُسكت هـذه الحركات ويحارب هذه الآمال ويقتل الأحرارَ ، ويشرِّد الأطفالَ .. ويعذِّبَ أبناءَ



الأمةِ العربية ..

وثار الشعبُ يطالب بحريتهِ ..

وفى عام ١٩١٩ قامت ثورةٌ فى مصر تطالب بالدستور وكانت تنادى « بالاستقلال التام أو الموت الزؤام . »

واستطاعَ الشعبُ بمهارةٍ أن يجبرَ الملكَ والاستعمارَ أن يحنوا الرءوسَ .. وانتصرت إرادةُ الشعب فى سنة ١٩٢٣ بإعلان دستور ١٩٢٣ . وكان هذا الدستورُ ثمرةَ كفاحِ الشعب واستشهادِ أبناء مصرَ .. لم يكن هبةً أو منحةً منهم .

فاطمأن الشعبُ .. وآمن الشعبُ .

وأحب أن أقولَ إن الدستورَ كان يُعتبر فى الماضى خاتمةَ الكفاح .. فماذا كانت النتيجة ؟ هل طبق الدستورُ ؟

أبداً .. لقد كان خدعة .

كان وسيلة لكى يبقى المستعمر فى أرض هذا الوطن.. واتبع الاستعمار سياسته التقليديةَ المعروفةَ : فرّق .. تسدْ .. فالاستعمار يهدف دائماً إلى التفريق بين الأخ وأخيه .. ولقد فرّق فعلا .. وساد فعلاً .. بعد أن قسّم البلاد أحزاباً .. كلٌّ حزب يضرب الحزبَ الآخر .. وحاولَ بالوقيعةِ وتقسيمِ أبناءِ الوطن الواحدِ ، كلٌّ يتبع آراء تختلفُ عن الآخر.. حتى ينفذ بينهم ويسيطرَ عليهم ..

كنا نختلفُ على لا شيء .. نختلفُ على التافــه من الأمور .. كنا ننقسمُ على أنفسنا ونتركُ الاحتلالَ يخربُ بلادنا ونترك السيطرة للسفير البريطانى ..

هل تحققت الحرية التى ماتَ من أجلها أبناءُ هذا الوطن؟ أبداً..أصبحت الحريةُ هى حرية التحكمِ والسيطرة والاستبدادِ والاستغلالِ. الخلافات أضاعت الهدف الحقيقى وهو الاستقلال التام .. كانت الخلافات سبباً فى نكسة ثورة ١٩١٩ .. ومكّنت الاحتلالَ من البقاء وظلت قواته تحتل أرضَ البلاد وتفرضُ نفوذَها وسلطتها على كل كبيرةٍ وصغيرةٍ. وماذا حدث ؟

بدأ أعوان الاستعمار يتآمرون مع الاستعمارِ على هــذا الشعب . بدءوا يعطون الشعب وعــوداً وكلاماً جميلاً .. ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ نتيجة الكلامِ والوعود ؟

كانت النتيجةُ استبداداً .. وتحكماً واستغلالا للفرص ، وسيطرةً فهل خُدع المواطنون ؟

اطمأنوا ولكنهم لم ينخدعوا .. ولم يسلّموا ..

ولم تنجحْ ثورة ١٩١٩ وضاعت هدراً دماءُ المصريين الذين قُتلوا فى سبيلها برصاصِ الإنجليز..

وقاسى الشعب .. قاست الأغلبيةُ العظمى .. استمرَّ الشعبُ يكافحُ مرةً أخرى .

أبشع أنواع الاستعمار

حاولَ الاستعمارُ دائماً أن يفرّق بين الأخ وأخيه ..
وحاول بكل وسيلةٍ أن يوقع بين البلادِ العربية وحاول
دائماً تفريقَ البلدِ العربى عن البلد العربى .. يفرّق بين البلاد
العربية حتى يتحكمَ فيها .

الاستعمارُ يعمل دائماً على ألا نعمل ، لكى يشاركنا
فى ثرْواتنا وفى دخلنا ولكيلا يعطينَا فرصةً حتى نصنّع
بلدَنا ، ولا نستخدمَ ثرْواتنا الطبيعية : البترول .واليورانيوم
والمياه الجوفية ، ولا نستغلّ أراضينا . . فالاستعمارُ لا يريد
لنا أن نبقى ، ولا أن نرفعَ مستوى المعيشة حتى نظلّ نعيشُ
تحت نيرِ الفقر ، وحتى تكونَ هذه البلاد مزرعةً تعطيه
ما يريد باستمرار .. مزرعةً يستغلها لرفع مستوى أبنائه . .

من أهدافِ الاستعمار أن يسيطرَ على اقتصادِنا ومواردِنا

وأرزاقنا الطبيعية .. من أهدافه أن يسيطرَ على الثروات الطبيعية الموجودة فى هذه المنطقة .. ويستغلّها ويحققَ المكاسب لنفسه ..

والاستعمارُ يريد أن يضعَنا ضمنَ منطقةِ نفوذِه وتحت السيطرة .. فخلَق اسرائيل .. على حساب شعبِ فلسطين..

هذا الغزو الصهيونى كان يجدُ فى الاستعمارِ وفى أعوان الاستعمار السَّند الأكيد ..

صمّم الاستعمار .. صمّم الطغاةُ الذين وقفنا وحاربنا معهم فى الحرب العالمية الأولى .. وحاربنا معهم أيضاً فى الحرب العالمية الثانية.. صمّموا على تثبيتِ الصهيونيةِ العالمية.. وإقامةِ الوطن القومى الصهيونى بين أرجاءِ هذه المنطقة .. وجاءت هذه الفرصةُ بعد الحربِ العالمية الثانية وكانت الدولُ العربية فى ذلك الوقت تخضع كلُّها للسيطرةِ الأجنبية .

وبعد الحربِ .. كل ما حدث هو تحريرُ سوريا ولبنان ، ولم يكن الغرض مساعدة سوريا ولبنان . ولكن أراد الغرب إضعافَ فرنسا واعتبارها دولة من الدرجة الثانية أو الدرجة الثالثة ..

وهكذا .. بعد أن تحرَّرتْ لبنان وسوريا .. جاء ضياعُ فلسطين وإعطاؤها لاسرائيل فى سنة ١٩٤٨ .. وكانت النتيجةُ

أننا كنا الغنيمة فى الحربين. كانت النتيجةُ أن سلب جزءٌ عزيز من الوطنِ العربى وأعطىَ لإسرائيل لإقامةِ الوطن القومى اليهودى .. ولولا أن فلسطينَ وقعت تحت الانتداب البريطانى لما استطاعت الصهيونيةُ أن تجدَ العونَ على تحقيقِ فكرةِ الوطن القومى فى فلسطين .. إسرائيل نفسُها لم تكن إلا أثراً من آثار الاستعمار .

إن الكراهيةَ شديدةٌ للغربِ بعد فلسطين..ونكبة فلسطين.. شعب فلسطين طُرِدَ من وطنه .. وشرِّد ليحتل مكانه شعبٌ دخيلٌ فرض عليه فرضاً .. نزل بشعبِ فلسطين ذلك الظلم.. وهذا الموضوع بالذّات يثيرُ فى نفسى أعمق الأسى فلستُ أعرف فى تاريخ الشعوب حدثا مثل هذا .. قامت حروب بينَ الدول فى العالم كله .. ولكنها لم تنتهِ مثلما انتهت هذه الحرب ، بإخراج شعبِ فلسطين من أرضه ، الشعب الذى طردَ من بلاده . وإقامة شعبٍ آخرَ مكانه.. هذا أبشعُ أنواع السيطرة .. وأبشعُ أنواع الاستعمار .

وبنظرة بسيطةٍ إلى تاريخنا .. لابد أن نتذكر دائماً أن هناك حرباً مستمرةً بين الدُّول الغربية وبين هذه المنطقة منذ حوالى ٧٠٠ سنة .. ولا بد أن نتذكرَ أنّه فى الأوقاتِ التى كنا نتّحد فيها كنا نستطيعُ أن نهزمَ أعتى وأكبرَ الجيوش..



ولا بدَّ أن نتذكر أن الاستعمارَ حاولَ أن يضعفَ عروبتنا وأن يفرّق بيننا فخلقَ إسرائيل وزرعها في قلبِ الأمة العربية.. إسرائيلُ سلاحٌ من أسلحة الاستعمار للتفريقِ بين العرب.. خلقَها الاستعمار وشجَّعها حتى تعلن أن أرضَها المقدسةَ تمتدُّ من النيل إلى الفرات.. خلقها ليقضيَ على قوميتنا كما قضى على فلسطين..

وشعب فلسطين حُرِم من حقوقه لأنّ الدول الكبرى أرادت أن يُحرم من حقوقه .. ولأنّ الاستعمارَ تآمر مع إسرائيل لتكونَ وسيلةً للعدوان على الدول العربية ولتحققَ خططَ الاستعمارِ في السودان .. إسرائيلُ هذه القاعدة العدوانية الاستعماريةُ العنصرية لتهديد العالمِ العربي .

وهكذا صارت إسرائيل خنجراً مغموداً في جسدنا ..

هذا هو تاريخنا القديم .

العاصمة العظيمة تحترق

لكن كيف كانت أحوال بلادنا قبل ٢٣ يوليه ١٩٥٢.

اتفق الاستعمارُ البريطانى والاسرةُ المالكة والشركات الأجنبيةُ المستغلة .. اتفقوا جميعاً على استغلالِ الشعبِ .. وكان الفائضُ فى البلاد من فُتات ما تركه الاستعمار لا يُترَكُ للشعب وإنما يُترك معظمه للذين يخدمون الاستعمار من غير أبناءِ البلاد أو الذين خانوا شعوبهم من أبناءِ البلاد .

وبعدَ الحربِ العالمية خرجتْ الشعوبُ تقاتلُ من أجل حريّتها ومن أجل استقلالها ، وكنا هنا نقول مفاوضات .. مفاوضات صدقى – بيفن .. تصريحاتٌ وبيانات وكلام ، إن دلّ على شىء ، فعلى أن الإنجليز سيبقَوْن فى بلادنا إلى الأبد .

وكانت القواتُ البريطانية تتربصُ بنا ، وترفضُ أن

تعطينا الاستقلالَ وكانت أمانينا هي الاستقلال .

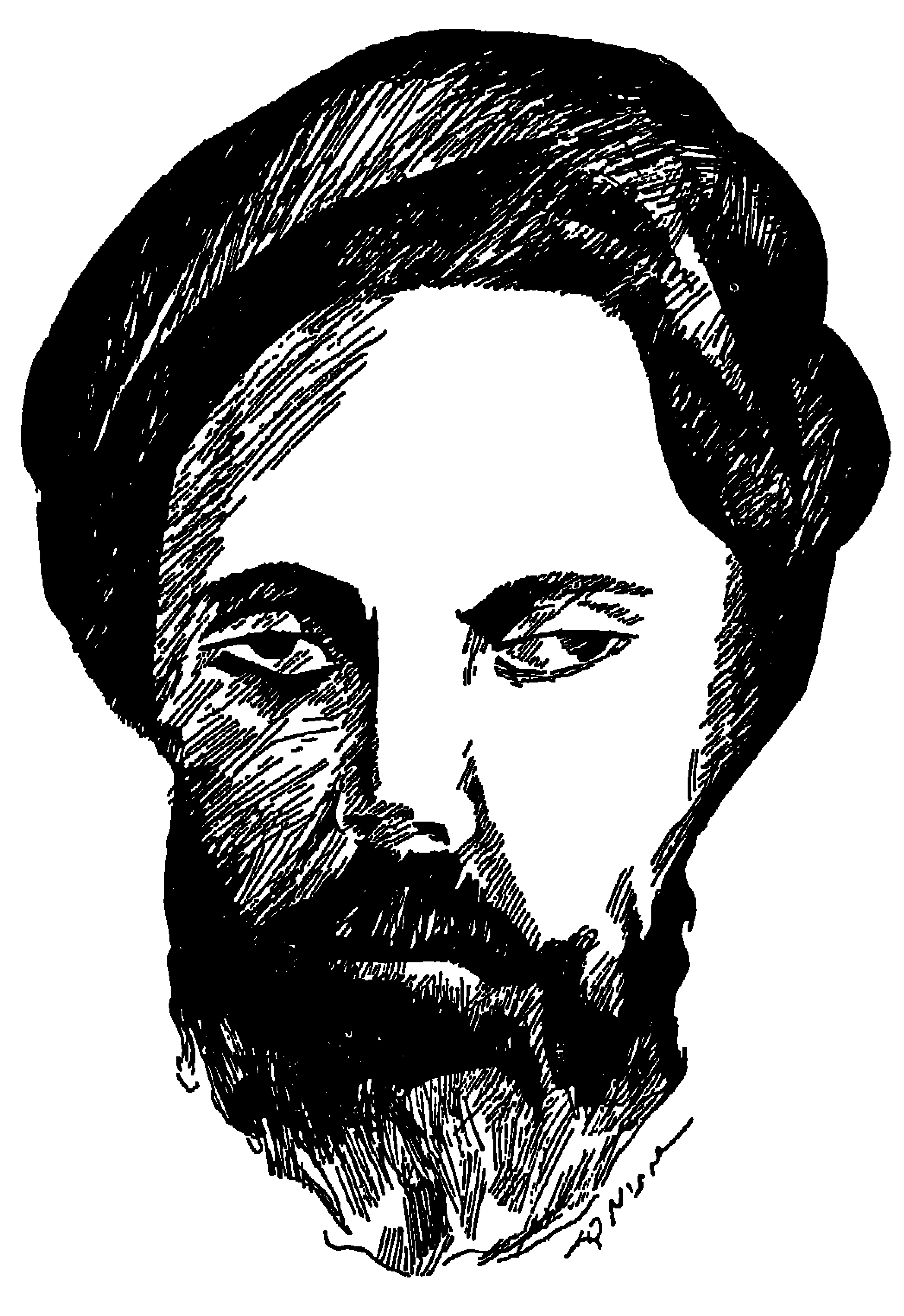
وكانت قواتُ الاحتلال ، ٨٠ ألف عسكرى إنجليزى يسكنون ضفاف قناة السويس متمركزين فى أقوى قواعدهم العسكرية فى الشرق الأوسط . وكانوا يفرضُون على محافظاتِ القناة حكمهم السافر لدرجة أنه لايدخلُ فردٌ رسميٌّ أو غيرُ رسمى إلى المنطقة بغير تفتيش يقوم به الجنود الإنجليز . .

وكان الاحتلال البريطانى ينظر إلى القاهرة باستعلاء.. يُصِيمُ ويسدُّ أذنيه عن نداءاتِ الحريةِ المنبعثةِ فى الشوارعِ ويغمز بطرف عينه للقصورِ الحاكمة .

أما السفيرُ الإنجليزى فهو الحاكمُ بأمره ،وبإشارته تسقط الوزاراتُ أو تتألف الوزارات .. ولا أنسى أنه فى فبراير ١٩٥٢ كان هناك ميعاد بين «على ماهر» وبين السفير البريطانى .. ورفض هذا السفير مقابلتَه بحجَّةِ أنه مصابٌ بالبرد .. واضطُرَّ «على ماهر» أمام هذا التصرف أن يقدمَ استقالته فى اليوم التالى .

وكان على رأسِ الحكم فى بلدنا «الملك فاروق» ، وكان على القمة يحكم من فوق قوةِ الاحتلال .. كان أولَ تاجر ، أولَ سمسار ، أولَ موردٍ لصفقات السلاح الفاسد للجيش وأولَ صديقٍ لأعداءِ الشعب .

وفى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ حدثتْ مأساةُ حريقِ القاهرة ، وكان منظرُ القاهرة ، العاصمة العظيمة وهى تحترق، من أبشعِ المناظر فى كفاحها ، فقد دمَّرت النار ٤٠٠ مبنى أنزلت بها خسائرَ فادحة ، وتركت ١٢٫٠٠٠ شخص بلامأوى وبلغت الخسائر ٢٣ مليون جنيه . ولم تتخذ السلطاتُ أىَّ إجراء .. « النحاس » رئيس الوزراء لزم داره فى جاردن سيتى .. وظل « فاروق » فى قصرِ عابدين لا يحرِّك ساكناً .. كان مشغولاً عن كل شىءٍ بمغامراته وصفقاته ووَلىِّ عهدِه الذى حمله بين يديه وأطلَّ من الشرفة على بعض ضباط الجيش فى ظروفِ حريقِ القاهرة ليقول لهم : إنه يهديه إلى الوطن .. وكان يقصد طبعاً أنه يهدى الوطنَ كلَّه إليه . لم تتخذ السلطاتُ أىَّ إجراءٍ ولم تصدرْ الأوامرُ للجيش بالنزولِ إلا فى عصر ذلك اليوم .. نزل الجيش ليضربَ الشعب وما كنا نستطيع أن نقولَ لا .. العسكرى سيضرب والضابط سيضرب والذى يقولُ لا ، سيُحاكَم . من ينقذه ؟ ونزلتُ ليلاً فى عربتى ومررتُ على وحدات الجيش فى القاهرةِ وكانت النارُ مندلعةً وكان التجول ممنوعاً وكان عندنا اجتماعٌ لما سمى بعد ذلك مجلس قيادة الثورة . وبعد الاجتماع نزلنا لنتصل بأكبر عدد من الضباط لنقولَ لهم على قدر الإمكان لاتضربوا الشعب ،ولكن من كانَ يضمنُ هذا ؟

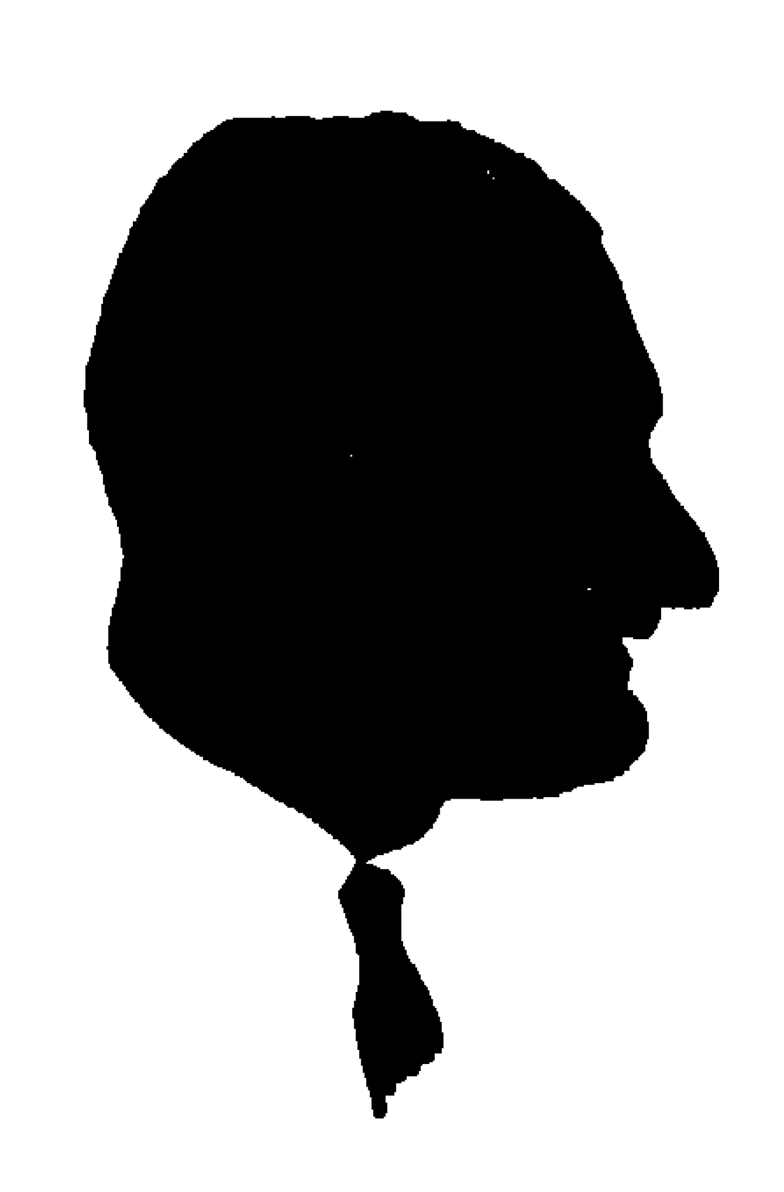


عبد الله نديم

بطل كافح ضد الاستعمار

ولم يبدُ على الملكِ ما يدلُّ على استعدادٍ لإيجادِ حلٍّ للموقف ،وهكذا وجدنا أنفسَنا فى وضعِ المعارضةِ الصريحةله.

لو نذكر هذه الأيام ، كانتْ هناكَ كلماتٌ عزيزةٌ ، الشعوب تضحى من أجلها بدمائها ،كما الحرية والديمقراطية .. هذه الشعاراتُ كانت غاليةٌ وعزيزةٌ،وكان الشعبُ يكافحُ من أجلها..والشَّباب ماتُوا من أجلها..كلٌّ واحدٍ فيهم فَدى بلدَه بروحه ..كلّ واحدٍ منهم كان يدبر لثورة ٢٣ يوليه .



كافحنا .. قاتلنا .. و.. ثرنا

نعم.. إن لنا تجاربَ طويلةً مع الاستعمار.. قاسينا منه .. نحن دولةٌ عاشت تحت نيرِ الاستعمارِ البريطانى ٧٤ سنة .. قاسينا منه .. وقبل الاحتلال البريطانى .. قاسينا من الاحتلال التركى..

قاسينا من الاستعمارِ بكل أشكالهِ .

أجدادُنا حاربوا فى جميع المعاركِ.. وتحمّلوا فيها الآلامَ..

أجدادُنا وآباؤنا لم يبخلوا بالشهداءِ.. ولكنهم لم يستطيعوا أن يحقّقوا النصر .. بل مهّدوا لنا لننتصر..

كافحنا .. قاتلنا .. جاهدنا .. وثرنا .. وقامت ثورة ٢٣ يولو ١٩٥٢ .. قامت ثورة الشعب فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

قامت الثورة لتعبرَ عن أهدافِ الشعبِ .. وتمثلَ آمال الشعبِ ..

لقد بدأتُ مع الطليعة فى ٢٣ يوليو وليس أمامى سوى هدف واحد يتمثل فى مصلحةِ مصر. لم أفكّر أبداً فى مصيرى.. ولكننى كنتُ أفكّر أن أعملَ بما يمليه علىّ ضميرى .

خرجت الطليعةُ لتنتصرَ أو لتضحى ولتضربَ المثلَ حتى تشعر الأجيالُ القادمةُ أن فى مصرَ رجالاً .. وأن فى مصرَ تضحيةً وعزيمة .. حتى لا يقولَ التاريخُ إن مصرَ كانت تئن تحت نير الاستعمار ولم تقاوم مقاومةً حقيقية ..

خرجنا نكافح لآخر قطرةٍ فى دمائنا حتى يحسّ الجيل الجديد بحلاوةِ الاستقلال.. نكافح حتى نحققَ للاجيال التى تأتى من بعدنا عالماً أفضل بدلا من العالمِ الذى نشأنا فيه.. والذى قاسينا منه والذى اشتكينا مرّ الشكوى من مآسيه .

●

قامت الثورةُ وهى تشعر بمسئوليتها .. أعلنت الثورةُ أنها تهدف إلى القضاءِ على الاستعمار الذى قاسينا منه زمناً طويلا.. والقضاءِ أيضاً على أعوانِ الاستعمارِ الذين تحكموا فينا وتآمروا علينا من أجلِ استغلالنا واستعبادنا ،ومن أجلِ تحقيق مصلحتهم الذاتية على حسابِ الشعب.

وعندما قامت الثورةُ كان المبدأ الأول هو : القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونةِ المصريين . .



كان أول همٍّ لنا أن نتخلص من الاحتلالِ البريطانى . . من الاستعمار البريطانى .. كان فى مصرَ حين قامت الثورة ٨٠ ألف جندى بريطانى فى منطقة القنال بناء على اتفاق بينَ مصرَ وبريطانيا عام ١٩٣٦ (١)

كان هناك احتلالٌ .. وكنا طبعاً منطقةَ النفوذ الانجليزى.. وكانت سياستُنا تقرها وزارة الخارجية فى بريطانيا ..

كنا فى الماضى نسمع الكلام .. ونسيرُ بجانب الحائط . ولكننا أمةٌ ضد السيطرة المعتدية فى الخارج وضد السيطرة

---

(١) كانت المادة العاشرة فى هذا الاتفاق تقول : انه يجب أن يكون لبريطانيا عشرة آلاف جندى فى مصر . وفى الواقع كان لبريطانيا ثمانون ألف جندى (حديث الرئيس مع الصحفيين الأمريكيين ٢١/٣/١٩٦٠)

المستغلة فى الداخل .. وكان علينا أن نقرِّرَ أى طريق نسلك ، طريق الذُّل والعبودية أم طريق العزةِ والحريةِ ..

ومصر التى ثارت فى ٢٣ يوليه ، كان هدفُها الاستقلال الحقيقى .. أن نعيشَ أحراراً فى هذه المنطقة .. أن نعيشَ فى سلامٍ بعيداً عن المؤامرات الأجنبية ، وأن تحترمَ الدول الأجنبية استقلالَ البلاد العربية وأن تمتنعَ عن التَّدخل فى شئون تلك المنطقة .. منطقةِ الشرق الأوسط .

كنا نحرص على الحريةِ الحقيقية . نحرص على السياسة المستقلة .. ونحرصُ على أن تكونَ لمصرَ سياسةٌ مستقلة قوية حتى نخلقَ فى مصر شخصيةً جديدة.. مستقلة.. تخلَّصت فعلا من الاستعمار .. وتخلصت فعلا من الاحتلالِ..ومن السيطرةِ الأجنبية بكل معانيها..

●

كنا فى مصر نريد استقلالا حقيقياً .. لا استقلالا مزيفاً .. فلا يمكن أن نعيشَ فى بلدٍ ونشعر فيه بالحرية أو الطمأنينة والأمنِ ، إذا كانت البنادقُ موجهةً إلى عقولنا وحدودِنا وقلوبنا ..

وبدأتْ المعركةُ فى سبيلِ الاستقلال..وكان كفاحى وكفاح

زملائى طويلاً وشاقاً لتحطيم السيطرةِ الأجنبيةِ على مصر.. ولتحقيقِ الاستقلالِ الصادقِ لبلادنا ..

كانت بلادُنا تحتاجُ إلى هذا الاستقلال احتياجها إلى أنفاسِ الحياة .. وقدكان مجردُ الظّل لسيطرةٍ أجنبية أمراً لا أستطيعُ أن أقبله ..

وبدأت المعركةُ فى سبيل الاستقلال .. وهذه المعركةُ ليست بالمعركةِ الهينة أو السهلة ..كنا نعرفُ أن لها نتائجَ تؤثّرُ على الوطنِ العربى وعلى مستقبلنا .. وعلى مستقبلِ أبنائنا ..

وبدأنا مفاوضات من أجل جلاء القوات .. فالانجليز كانوا فى مصر حتى سنة ١٩٥٤ ..

•

وفى الوقت الذى كنا نتفاوضُ فيه .. كان هناك إخوة لكيم فى القنال يحاربون ويقاتلون ليجعلوا من القنال ميدانَ قتـــالٍ للمستعمرين ، وليقنعوا الانجليز بأنهم لن يستطيعوا أن يدافعوا عن وجودِهم وعن كيانهم فى هذه المنطقة ..

وبالأيدى القوية والدمِ الزّكى الذى سالَ فى منطقة القناة وقعنا اتفاقيةَ الجلاءِ وانتصرنا فى حرب الاستقلال (١)

---

(١) فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ تقرر جلاء القوات البريطانية جلاء تاما عن الأراضى المصرية خلال فترة عشرين شهرا – وتقرر انتهاء معاهدة ١٩٣٦ التى سميت معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا .

وقعنا اتفاقيةَ الجلاء .. لكن .. هل انتهت المعركة ؟

لا .. إن المعركةَ لم تنتهِ لأن الاستعمار لم يحققْ أهدافه.. إننا نريدُ السلامَ ولكننا نكافحُ قُوَى الظلمِ .. والاستعمارِ .. وتجارِ الحروب ...

وبمجرد أن وقّعنا اتفاقيةَ الجلاء .. وبدأ الاستعمارُ البريطانى وجنودُ الاحتلالِ فى الخروج ، بدأ العدوان علينا من إسرائيل.. اعتدتْ إسرائيل على غزة .. دبّرتْ هذا العدوان بعد حصولها على كمياتٍ كبيرةٍ من الأسلحة من فرنسا ..

وارتُكبت بعد ذلك سلسلة من الاعتداءات .. اعتدت على « خان يونس » ثم على «الصبحة» ثم العدوان على «القسيمة» .. ورجال الأمم المتحدة وصفوا ذلك الاعتداء بأنه وحشى وبأنه كان مدبراً ..

إننا كنا دائماً نشعر بالتهديد .. ونشعرُ أيضاً بالعدوان .. إن التهديدَ كان قائماً منذ عام ١٩٤٨.. وقبلَ ذلك .. وبعد ذلك .. كنا نشعرُ به حينما قامت اسرائيل بعدوانها الغادر على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥..وكنا نشعرُ به بعد هذا التاريخ.. فإسرائيلُ كانت تتبجّح بقوتها وبالإمداداتِ وبالأسلحة التى كانت تحصلُ عليها ..

قصة السلاح.. والميزان الذى مال

كنا فى ذلك الوقت فى أشدّ الحاجة إلى أسلحة .. وقد عرف الغربُ كله أننا محتاجون حقاً إلى أسلحة .. المسألةُ بالنسبة لنا كانت مسألةَ حياةٍ أو موتٍ .. وإنى أحبُّ أن أحكى لكم فى هذه المناسبة قصة تسليح الجيش ..

منذ قامت الثورة ونحن نطالب بالسلاح .. ونحن نوعد بالسلاح .. التجأنا إلى كل الدول .. وإلى كل ميدان من أجل تسليح الجيش ..

طلبنا السلاحَ .. وكنتُ أؤكد لهم أن الأسلحةَ لن تستخدم فى العدوان .. بل من أجل الدّفاع .. وأننا ليست لدينا أية نيات عدوانية .. إننا نريد أن يكون لنا جيشٌ قوى ، لا للعدوان.. ولكن لحماية السلام .

لجأنا إلى انجلترا .. وفرنسا وأمريكا .. طلبنا منهم السلاح..

فماذا أخذنا ؟ ماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة قصةٌ طويلة .. قصةٌ مرة .. استعمل الاستعمار معنا أساليبَ متعددة ، منها احتكارُ السلاح .. لكن ما معنى احتكار السلاح ؟

لاشك أنكم تعلمون أن الأسلحةَ الثقيلة تتحكم فيها الدول الكبرى .. وهذه الدول لن ترضى أن تمولَ الجيش المصرى بالأسلحة إلا بشروط ..

وأحكى لكم القصة من بدايتها .. أحكى لكم قصةَ أمريكا

كانت «واشنطن» أولَ عاصمة لجأنا إليها بعد قيامِ الثورة بثلاثة أشهر ..

●

وفى أكتوبر سنة ١٩٥٢ دارت محادثات .. وقلنا :

ـ إننا نقبلُ المساعداتِ العسكريةَ ولكننا غير مستعدين للتوقيعِ على الشروطِ التى تربطونَ بها الدول .

قالوا :

ـ سنعطيكم أسلحةً أمريكية بدون توقيع شروط .

قلنا لهم :

ـ لا .. نريدُ سلاحاً بالثمن ..

فقالوا :

— سنعطيكم أسلحةً بعشرين مليون دولار فى عام ١٩٥٤ — ١٩٥٥ .

قلنا لهم :

— « مستعدين » نشترى

دارت هذه المحادثات وتكررت وطال أمدها .. بعد ذلك تلقّينا وعدًا رسميًا من مسئولين أمريكيين بتزويدنا بالأسلحة.. وفى أبريل ١٩٥٣ جاء إلى هنا وزير خارجية أمريكا وتكلمنا فى التسليح .. بل طلبَ منا قائمةً بما نحتاج إليه من الأسلحة ، أو بعبارةٍ أصحَّ الحد الأدنى لما نحتاج إليه .

أعددنا القائمة .. وبالثمن .. بالرغم — ولا أخفى عليكم — من أننا بحاجة إلى الموارد كافة لبناءِ وطننا ورفع مستوى معيشةِ المواطنين ، وليس لدينا أى عملةٍ صعبة لأية أغراضٍ أخرى..

●

أعددنا القائمة ثم بعثنا بوفد . . بعثة عسكرية إلى « واشنطن » لعمل ترتيبات تسلُّم الأسلحة .. وظلت البعثةُ شهوراً عديدة فى « واشنطن » .. وأخيراً عادت إلى مصر خاويةَ الوِفاض .. لم نصل معهم إلى نتيجةٍ سوى الأقوالِ والوعود . . وأن هناك أسلحةً ستأتى .. لكننا لم نتلقَّ هذه الأسلحة ..

تلقينا وعوداً ، ولكننا لم نحصل على الأسلحة .. لم نستطعْ أن نأخذَ من أمريكا قطعةً واحدةً من السلاح . وحتى الآن ، انتهت العمليةُ الطويلة العريضة لوعود .. لكلامٍ حلوٍ فقط .

●

أما فرنسا ، فكانت تساومُنَا دائماً .. كانت تقول لنا : نعطيكم السلاح على شرط أن تتخلَّوْا عن عروبتكم . . على شرط أن نرى المذابحَ التي تحدث في شمال أفريقيا ونسكتَ عليها .. نغمض عيونَنَا عن عروبتنا ..

الحقيقة أننا لم نأخذْ إلا مطالبات ..

وفي الوقت الذي تُلغي فيه فرنسا صفقتَها معنا .. نراها تنفِّذُ اتفاقها مع إسرائيل .. وكنت أقول لهم :

ـ إن إمدادَ إسرائيل بالسلاح لن يساعدَ على إقرار السلام .. إن العربَ يعتبرون أن كلَّ رصاصةٍ تسلَّمُ وتحصلُ عليها إسرائيل معناها إهدارٌ لحياةِ مواطنٍ عربي .. معناها موتٌ لشخصٍ عربي .. هذه هي قصة فرنسا ..

إنني أذكرُ في هذا الوقت.. أذكرُ أننا في بعض الأحيانِ قد أرَقْنا ماءَ وجوهنا .. ولكن لم نتخلَّ أبداً عن مبادئنا .. أرقنا ماءَ الوجوه ونحن نطلبُ السلاحَ ، ونحن نستجدي السلاح ، ولكننا في نفس الوقت صَمَّمنَا على المحافظة

على المبادىء .. وأعلنّا أننا نسلحُ جيشنا من أجلِ حريتنا ومن أجل شخصيتنا المستقلة .. من أجل كرامةِ مصر .. وأعلنّا أننا لن نسلحَ الجيشَ على حسابِ استقلالِنا أو على حسابِ حريتِنا ..

•

وأحكى لكم قصة بريطانيا .. ماذا كانت قصة انجلترا ؟

كانت انجلترا تقول لنا : إنها مستعدةٌ لتموّلنا بالسلاح .. وكنا نقول لهم : إننا نقبل شاكرين ..

ولكن كل الوعود كانت مرتبطةً بشروط . نأخذ السلاح بشرط أن نوقّع على الدخول فى حلفٍ من الأحلاف .

وبسببِ الضغط البريطانى فى ذلك الوقت رفضتْ الولايات المتحدةُ تزويدنا بالأسلحة .. ورفضتْ فرنسا كذلك .. وفعلتْ بلجيكا نفس الشىء تحت ضغط بريطانيا بلا شك .. كما رفضتْ السويدُ تزويدنا بالسلاح ..

الحقيقة أن بريطانيا كانت تبخلُ علينا بالسّلاح ، فى الوقت الذى كان يجرى فيه تسليحٌ إسرائيل على قدمٍ وساق ..

استطاع جيشُ إسرائيل أن يأخذ أسلحةً من انجلترا ومن فرنسا ومن بلجيكا ومن كندا ومن إيطاليا ومن دولٍ أخرى

متعددة .. كان هذا الجيش يجدُ دائماً من يمدُّه بالسلاح .. وكنا نحن نقرأ فى الصحف الأجنبية ، سواء فى الصحف الأمريكية أو الإنجليزية أو الفرنسية ، نقرأ أن جيشَ إسرائيل متفوقٌ فى السلاح وأن جيش إسرائيل يستطيعُ أن يهزمَ العرب.. وأن جيشَ إسرائيلَ يستطيع أن يهزمَ مصرَ .. كانوا يقولون هذا فى صحفهم فنقولُ لهم : إذن لماذا تمنعونَ عنا السلاح؟..

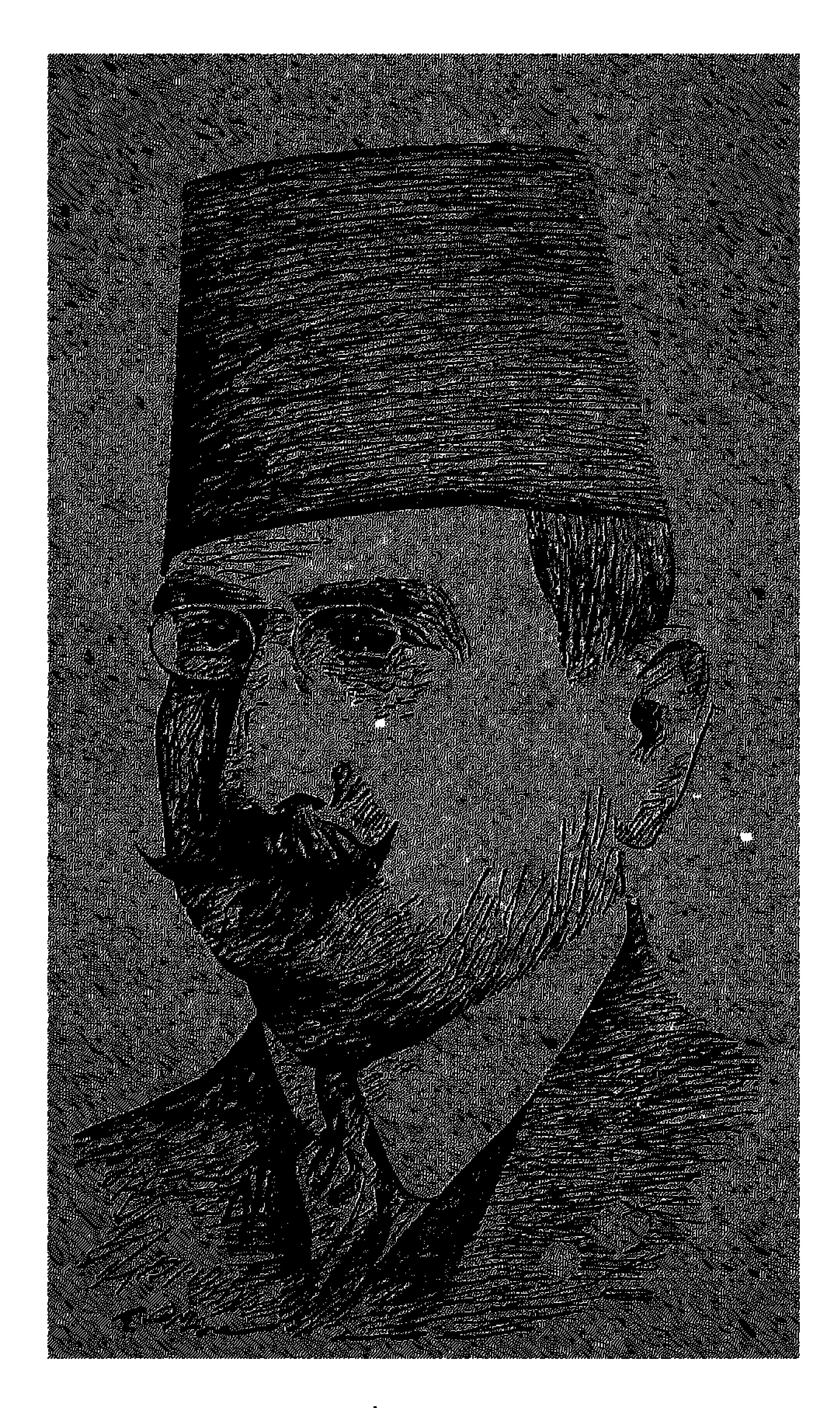
لقد سلَّمُوا إسرائيل السلاحَ ومنعوه عنا .. لماذا ؟

لأنهم يريدون أن نكون ضعفاء .. وأن نكون تحت رحمتِهم .. وأن يجعلونا تحت حمايتِهم.. وماذا كانت النتيجة؟

بالطبع لم نأخذ سلاحاً من الغرب .. لم يكن معقولا أن الذين أقاموا إسرائيلَ سوف يرضون أن يعطونا السلاحَ لنواجه به عدوانَ إسرائيل .. فالاستعمارُ هو القوةُ الحقيقية التى تسندُ إسرائيل.. والاستعمارُ يزوِّدُها بالأسلحة من أجل القضاء على حريتِنا كما قضوا على قوميةِ أهلِ فلسطين..

●

لم يكن معقولا أن الذين أعطَوْا وعدَ « بلفور » المشئوم سوف يرضَوْن لنا القوةَ لمواجهةِ هذا الخطر الصهيونى ، وهذه الهجماتِ الصليبيةِ التى تمثلُ حرباً صليبيةً جديدةً هدفُها



محمد فريد
بطل كافح ضد الاستعمار

استعمارى تعصبى ، الغرض منها : القضاء على العربِ وخلق مُلكٍ لإسرائيل من النيلِ إلى الفرات .

الاستعمارُ إن أعطانا سلاحاً فلابد أن يضمنَ أننا لن نستخدمَ هذا السلاح إلا كيفما يريد وبالشروط التى يريدها.. ورفضنا هذه الشروطَ لأننا نحرصُ على الحرية الحقيقية .. ونحرصُ على السياسة المستقلة ..

ولكن حينما رأينا هذا التحكُّمَ .. هذا النفوذَ الذى يتحكم فينا وفى رقابنا ، قررنا أن نطالبَ جميعَ دول العالم بأن تمدنا بالسلاح بلا قيدٍ ولا شرط . .

قدمت هذا الطلبَ باسم مصرَ إلى أمريكا وإلى انجلترا وإلى فرنسا .. إلى روسيا وإلى تشيكوسلوفاكيا .. إلى باقى الدول . . وانتظرت الردَّ . . المسألة بالنسبة لنا كانت مسألةَ حياةٍ أو موتٍ .. فماذا كانت النتيجة ؟

وصلتنى ردودٌ من بعضِ الدول توافق على تسليحِ الجيش ولكن بشروط ..

رفضنا هذه الشروط .. فهذا هدفٌ من أهدافنا .. وكما قلت لكم ، إننا قد نستجدى السلاح ، قد نُريق ماء وجهنا من أجل السلاح ، ولكننا لن نتخلّى عن مبادئنا .

وانتظرنا حتى وصلتنا ردٌّ هــذا الطلب من حكومة تشيكوسلوفاكيا ، تقول إنها مستعدةٌ أن تمدَّنا بالسلاح حسب حاجتنا وحسب حاجةِ الجيش وبالطريقةِ التى تناسبنا .. على أساسٍ تجارى .. على أساس المقايضة .. هذه الاتفاقية تسمحُ لمصر أن تدفع ثمنَ الأسلحة منتجاتٍ مصرية من تلك التى يمكن تصديرُها مثل القطن أو الأرز .. فى مقابلِ الأسلحةِ نقدِّمُ قطناً مثلا ..

فقبِلنا فى الحال ..

قبِلنا هذا العرض شاكرين ..

●

وأعلنَّا صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا ومع الاتحاد السوفيتى ..

وأعلنَّا أنَّنا قضينا على احتكارِ السلاح .. وتعاملَ معنا الاتحاد السوفيتى بكل أمانةٍ وشرفٍ .. وموقفهم معنا كان موقفَ الصديقِ للصديق .

لقد رفضوا إعطاءنا السلاحَ ولكن عندما استطعنا أن نحصلَ عليه من غيرهم قامت قيامتُهم .. ثاروا وهدَّدُوا .. وقامت ضجةٌ مفتعلةٌ أثارت إسرائيلَ .. قامت ضجةٌ فى لندن

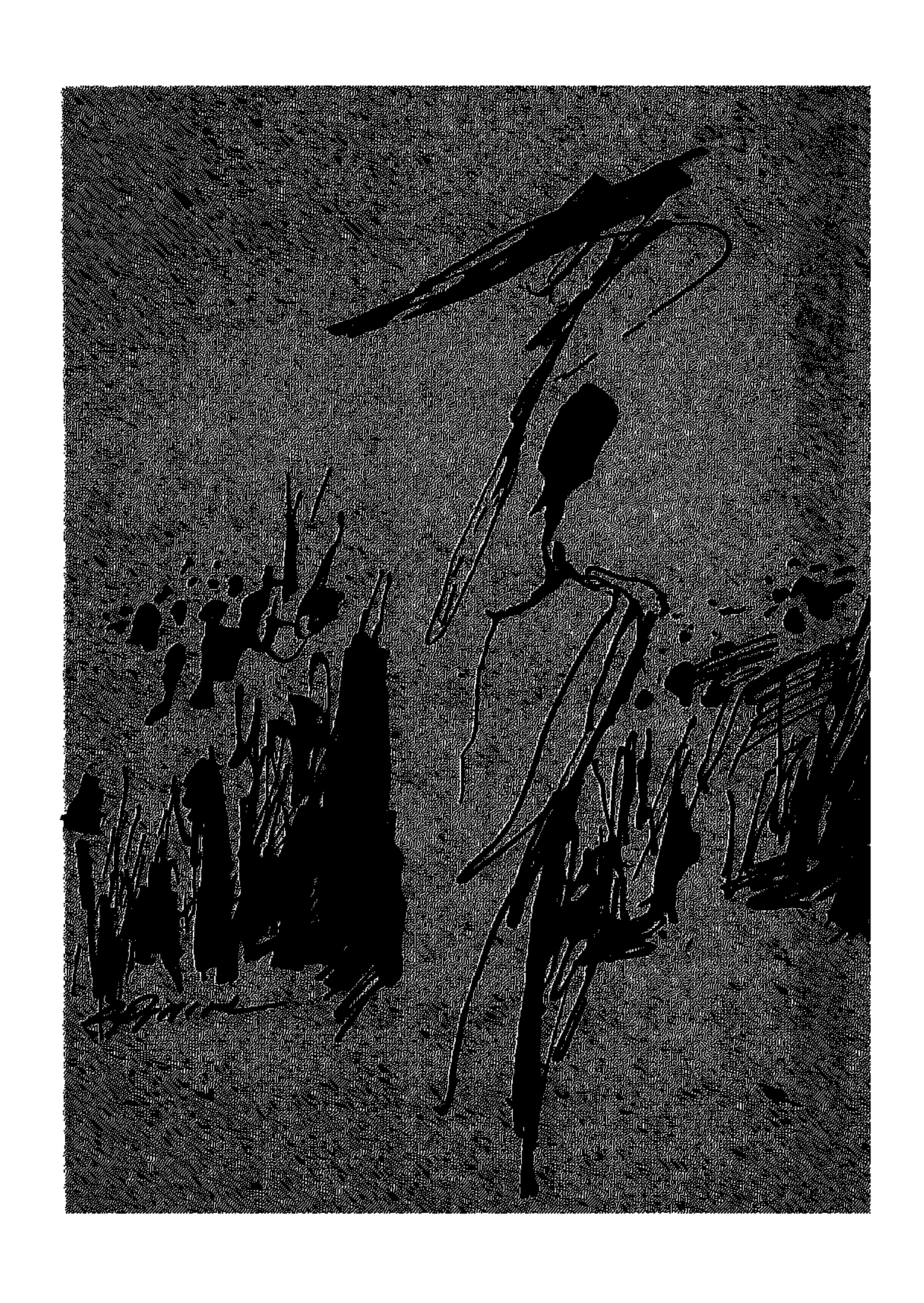
وضجةٌ فى واشنطن .. قامت هذه الضجة من أجل استمرارِ التحكُّم واستمرار النفوذ ، فهم يعلمون أننا بدون سلاحٍ سنكونُ تحت سيطرَتِهم .. وتحت نفوذِهم .. ولكن بعد أن استطعنا أن نحصلَ على السلاح بدونِ قيدٍ أو شرطٍ فلن يكون فى داخلِ مصرَ نفوذٌ إلا لأبناءِ مصر.. وأن مصر تصبحُ دولةً مستقلةً لا تقبلُ أى تدخلٍ أجنبى فى شئونها ..

ثارُوا وهددونا وقالوا : إن ميزان السلاح فى الشرق الأوسط قد مال .. وإن ميزان القوى قد اختل .. وإن هذا سيخلق حالة تَوَتُّر ..

وكنتُ أقولُ :

ـ إذا كانَ من الناسِ من يعتقدُ أن تسليحَ الإنسانِ لنفسه لأغراضٍ دفاعيةٍ يخلقُ حالةَ توترٍ ، إذن فإنى أقترحُ ، نزعَ السلاحِ من جميعِ القوات المسلحة فى دول العالم كله ..

قالوا .. وقالوا .. ولم يسكتُوا . . وبدءوا يسلّحون إسرائيلَ .. بدأ الغرب يسلّحُ إسرائيل من غير ضجةٍ .. من غير ثورةٍ .. فى صمت وسكونٍ .. أعطاها الاستعمارُ طائراتٍ ودباباتٍ ومدافع .. أعطاها كلَّ شيء فى هدوءٍ وسكون .. ولكننا لم نسمع صراخاً للاستعمار .. وهذا يؤكد أن للاستعمار



أغراضاً .. وهذا يؤكد أننا لا نواجه إسرائيلَ وحدها ..
ولكننا نواجِهُ الاستعمارَ ..

عدونا ليس إسرائيل وحدها ..عدوّنا الذى أقامَ إسرائيل.

لحظة العمر

خلالَ قرونٍ طويلة كانت أجيالُ شعبِنا تكافحُ وتناضل وكان الشهداءُ يسقطونَ على الأرضِ وبجوارهم أعلامهم مضرَّجة بالدماء ، ولكنهم لم يستسلموا أبداً .. واستطاع هذا الشعبُ بإيمانه وبصبره وتصميمهِ أن يرى اليوم الذى تَنزلُ فيه أعلام الاحتلال البريطانى وتُرفعُ فيه أعلامُه .. إنها لحظةُ العمر .. بل كانت العمرَ كلَّه ..

تخلصت مصرُ من القوات الأجنبية(١) . . وخرج الانجليزُ من مصرَ بعد احتلال دام ٧٤ سنة . .

نعم ، فمنذ أكثر من سبعين سنة ، ووطننا يتكبَّرُ ويتجبَّرُ فيه محتلٌّ غريبٌ .. الكلمةُ كلمته ، والأمر أمره .. وقَدر لهذا

---

(١) خرج آخر فوج من القوات البريطانية فى ١٣ يونية ١٩٥٦ تنفيذا لاتفاقية الجلاء ، واحتفل عبد الناصر مع الشعب بيوم الجلاء فى ١٨ يونية ١٩٥٦ .

الجيل أن يشهدَ بعينيه قواتِ المحتلِ الغريب تتسلَّلُ عائدةً من حيثُ أتت .

إنَّ هذا الجيلَ من شعبِ مصرَ من تلك الأجيال التى واعدها القدرُ لتعيشَ لحظاتِ الانتقال العظيمة التى تشبهُ مهرجانَ الشروق . لقد عشنا ساعةَ الفجر ورأينا انتصار النور الطالعِ على ظلماتِ الليلِ الطويل .

لقد عشنا وشاهدنا فجرَ الاستقلال .

لقد عشنا وشاهدنا فجرَ الحرية

وعشنا ورأينا فجرَ العزَّةِ والكرامةِ .

وكان هذا نتيجةَ كفاحٍ طويلٍ وعملٍ مستمرٍّ .. لكن الكفاح لا يتوقف عند غايةٍ .. الكفاحُ ليست له نهاية .. مدى الكفاح فى أى شعبٍ يستمر مدى الحياة .. وأنتم الشباب عليكم مسئولياتٌ أكثر .. مسئوليةُ بناءِ هذا الوطن .. ثم حمايةُ الاستقلالَ الذى حققناه .. نحمى حريتنا ، ونحمى ما حققناه .. وسيتكاتف جميع أبناء الوطن من أجل حِراسةِ ما حققناه ، لأن الشعبَ قد تولى أمرَه بيدِه ...

ولكنْ ، طالما كان هناك استعمارٌ فلن نشعرَ باطمئنانٍ وسنظل دائماً على حذر .

طالما كان هناك استعمارٌ لا يمكن أن يكونَ هناك سلام .

نحن نسالمُ من يسالمنا ونعادِى من يعادينا .. هذا مبدؤنا ، فنحن نريد السلامَ ، ونريد أن نعيشَ فى سلامٍ بعيداً عنِ المؤامراتِ الدوليةِ والمؤامراتِ الاستعماريةِ التى تريدأن تضع يدها على الضعيف فينا لتلتَهمه أولا ثم تلتهمَ الآخرين . .

إنهم يريدون أن نكونَ ضعفاءَ ، بل إننا أغنياءُ بالإيمان وأغنياء بالتضحية ومبادئنا : نحن مع حريةِ الشعوب . نحن ضد الاستعمارِ والسيطرةِ الأجنبية ، لأن الاستعمارَ معناه الاستغلالُ والسيطرةُ والتحكم ، ونحن .. لن نقبلَ استغلالاً .. ولا سيطرةً ولا تحكُّماً ، لأن هذا الشعبَ صانعَ التاريخِ وصانعَ الحضارةِ لا يقبلُ بأى حالٍ من الأحوالِ أن يخضعَ للاحتلال أو للسيطرةِ الأجنبيةِ مهما كانت الأسباب .

إذن هناك حربٌ بيننا وبين الاستعمار برغم إرادتنا .. لأننا نحاربُ هذه الحربَ من أجلِ الدفاعِ عن كرامتنا واستقلالِنا وشرفِنا وحريتِنا ..

●

لقد استُعْمِرنا واحتُلَّت أراضينا ،وكل ما نريدُه أن نحققَ لنا شخصيةً مستقلةً قويةً ليست تابعةً لأحدٍ .. شخصيةً حرةً توجه سياستَها الداخليةَ كيف تريدُ .. وكذلك توجِّهُ سياستَها



الخارجية تحقيقاً لمصالحها . كل سياستنا تنبعثُ من مصلحتِنا ، من ضميرَنا ، من نفسنا .. من أرضِنا .. من مصرَ .. ولا نقبلُ مطلقاً أن نأخذَ أوامرَ من الخارجِ ، فإذا أردنا أن نحققَ الحريةَ والاستقلالَ لابدَّ أن نثقَ ونعلمَ علمَ اليقينِ أننا لابد أن نعتمدَ على أنفسِنا وعلى شعوبِنا .. وإننا إذا اعتمدنا على دولةٍ أجنبيةٍ فلن نكونَ فى النهاية إلا غنيمةً كما كنَّا بعد الحربين العالميَّتيْن الأولى والثانية .

إننا نسيرُ فى هذا الطريق مهما قابلتنا المصاعبُ .. نسيرُ فى هذا الطريق لأننا نؤمنُ بالسيرِ فى هذا الطريق ، وأن لا حياةَ مع الذُّل ولا حياةَ مع الاحتلال .

وما من شكٍّ فى أننا جميعاً نحلم بمصرَ المتحررةِ القويةِ ، ذلك أمرٌ ليس فيه خلافٌ بين مصريٍّ ومصرى .

صورة طبق الأصل

تخلصتْ مصرُ من القوات الأجنبيةِ سواءٌ أكانت برية أم بحرية .. وشعرنا أننا نقابلُ مرحلةً جديدة من تاريخنا .. مرحلة نشعرُ فيها بأننا سادةٌ فى بلادِنا .. لكن .. هل تركنا الاستعمار ؟

عندما صمّمَ الشعبُ على بناءِ السّد العالِى .. واجهْنَا من الاستِعمار المعاكسات وكلّ الوسائِل التى تعوقُ التّقدم .

رفَضُوا أن يمدوا لنايدَ المعونةِ وكان رفضهم بطريقةٍ مهينة ..

والسدُّ العالِى .. ضرورةٌ لمصر .. السدُّ العالِى جُزءٌ كبيرٌ من الخطةِ الكبيرةِ التى رسمناها لوطَنِنَا لكى نزيد مساحةَ الأرضِ المنزرعةِ فى بلادِنا ، من أجل مزيدٍ من الغِذَاء ، ومن أجلِ مزيدٍ من فرصِ العملِ للمواطِنِينَ .

وإلى جانبِ ما يعودُ به على البلادِ من فوائدَ لاتُحصى ،
فهو أضخمُ مشروعٍ من نوعه فى العالم . .

المشروع كان فى رأيى رمزاً لمصرَ الجديدةِ .. وكنت أرى
أنه سيكونُ مصدرَ اعتزازٍ لكل مصرىٍّ ..

وكان مفروضاً أن نبدأ المشروع فى شهر يونيه (١٩٥٦)..
وهذا البناء يتم على مرحلتين: المرحلةُ الأولى بناءُ السَّد نفسه..
والمرحلة الثَّانيةُ كهربتُه . . وكان مقدَّراً لنفقاتِ بناءِ السَّد
العالى حوالى ٢٠٠ مليون جنيه (فى ذلك الوقت) .

واجهتنا عقبةُ التمويل .. وكان لابدَّ من تمويل هذا المشروع
الضخم من الخارِج .. واتصلنا بالبنك الدَّولى وطلبنا منه —
ونحن المشتركون فيه ؛ المساهمة فى تمويلِ المشروعِ ..

دارتْ المحادثاتُ فى سبتمبر ١٩٥٥ .. وبدأتْ المفاوضاتُ
المبدئيةُ لتمويلِ المشروع ..

ووجدنا تشجيعاً من الولاياتِ المتحدةِ الأمريكية ، بل
إن بريطانيا نفسها عرضت أن تساهِم بستة عشر مليون دولار
بشرطِ إتمامِ الموافقةِ على القرضِ الأمريكى .. وعلى هَذا
الأساس سافَر وزيرُ الماليةِ إلى «واشنطن» ، فقال الأمريكان :
إنهم قرروا لمصرَ ٤٠ مليون دولار معونة ..

ولكنه كان كلاماً على ورق.. فقدرجع الانجليز فى كلامهم وقالوا : خذوا القرض من البنك الدولى ونحن نعطيكم مليون جنيه والأمريكان يعطونكم ٢٠ مليوناً .

وفى هذه الأيام جاء السفير الروسى وقال :

– إن روسيا مستعدة للاشتراك فى تمويل السد العالى . . وكان ذلك فى شهر ديسمبر ١٩٥٥ فقلت له :

– إننا نتكلم مع البنك الدولى .

وتأجل الكلام فى التفاصيل .

وعرف الأمريكان أن هناك عرضاً روسياً ، فأرسل مدير البنك الدولى يطلب دعوته للحضور لمصر .

وصل « مستر يوجين بلاك » مدير البنك الدولى فى شهر فبراير ١٩٥٦ ، وقال إن البنك الدولى مستعد لإقراضنا ٢٠٠ مليون دولار .. وحينما قابلته قلت له :

– بصراحة نحن عندنا عقدة من ناحية القروض والفوائد لأننا رحنا ضحية الاحتلال بسبب القروض .. فلن نقبل أى مال يمس سيادتنا ..

وقال :

ـ إننا بنكٌ دولى ، وليس بنكاً سياسياً .. وليس لى « دعوة » بأمريكا .. ولا أقول إلا الرأىَ الّذى أفى به ..

فقلتُ لهُ :

ـ إن مجلس إدارةِ البنكِ يتألف من الدول ، فهو على هذا الأساسِ بنكٌ سياسىٌ ..

وكنت أنظر إلى « مستر بلاك » وأتصور أن الذى يجلس أمامى : « فرديناند دلسبس » .

عَادَ بى تفكيرى إلى الكلام الذى كنا نقرؤه : فى عام ١٨٥٤ وصلَ إلى مصرَ « فرديناند دلسبس » وذهبَ إلى الخديو « محمد سعيد باشا » وجلس بجانبه وقالَ لهُ : نريدُ أن نحفرَ قناةَ السويس ، وهذا المشروع سيفيد فائدةً لا حدَّ لها ، فهو مشروعٌ ضخمٌ وسيعود على مصرَ بالكثير .

وعندما كان « بلاك » يسترسلُ فى كلامهِ معى ، كنت أحسُّ بالعقدِ الموجودةِ فى الكلامِ الذى يقوله .. ويعود بى التفكير إلى « دلسبس » .. ثم قلتُ له :

ـ نحن عندنا عقدةٌ فى هذه الموضوعات .. ونحن لانريد أن نرى « كرومر » فى مصر ثانية ليحكمنا .. عمل فى الماضى قروضاً وفوائد على القروض وكانت النتيجة أن احتل

بلدنا .. فأرجو أن تضعَ هذا الاعتبارَ فى نفسِك وفى كلامِك معى ، فنحن عندنا عقدة من دلسبس ومن كرومر .. عندنا عقدةٌ من الاحتلالِ السياسى عَنْ طريقِ الاحتلالِ الاقتصادي.

هذه هى الصورةُ التى صورتَ لى .. صورة « دلسبس » حينما وصل إلى مصرَ .. وصلَ « دلسبس » إلى الاسكندريةِ وبدأ يعمل فى حذرٍ وخديعة ..

●

وفى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ ، وبعد أن اتصل دلسبس بالخديو « محمد سعيد » ، حصلَ على امتياز القنالِ .. وفى صدرِ هذا الامتيازِ الذى منحهُ « سعيد » « لدلسبس » قال الآتى:

« حيث إن صديقنا « مسيو فرديناند دلسبس » قد لفتَ نظرنا إلى الفوائد التى قد تعود على مصرَ فى توصيلِ البحرِ الأبيضِ المتوسطِ بالبحر الأحمرِ ، بواسطة طريقٍ ملاحيٍ للبواخر ، وأخبرنا بالفوائدِ التى تعود على مصرَ وأخبرنا عن إمكانِ تكوينِ شركةٍ لهذا الغرضِ من أصحاب رءوس الأموال ، فقد قبلتُ الفكرة التى عرضها علينا وأعطينا تفويضاً خاصاً بإنشاءِ شركةٍ لحفرِ قناةِ السويس واستغلالِ القناة بين البحرين . » .

«دلسبس» قال للخديو، أنا صديقُك وقد جئتُ لأفيدَك وأعملَ قناة بين البحرين تستفيد منها ..

وكان هذا الكلام عام ١٨٥٤ ..

وفى عام ١٨٥٦ .. أى منذ مائة عام .. تكوّنت شركة قناة السويس..وتعهدتْمصرُ بأن توردّ العمالَ الذين سيحفرون القناةَ بأرواحِهم وجماجِمهم ودمائِهم ..

تعهدتْ مصرُ بتقديمِ العمالِ كسخرة .. ١٢٠ ألف عامل ماتوا فى حفر القناة .. حُفِرَتْ القناةُ بجماجِمنا وعِظامنا ودِمائنا ..

وكانتْ نتيجةُ الكلامِ الذى قالَه «دلسبسُ» للخديو عام ١٨٥٦، ونتيجةُ الصداقةِ والديون، هى: احتلال مصرَ. استدانت مصرُ بسبب هذا الموضوع .. فماذا فعلت ؟

اضطُرتْ مصرُ فى عهدِ «اسماعيل» إلى بيعِ نصيبها من الأسهم وقدره ٤٤ ٪ من أسهم الشركة ..

وفوراً أرسلَت انجلترا تشترى نصيبَ مصرَ من الأسهم فى الشركة .. اشترته بأربعةِ ملايين جنيه .. وبعد ذلك تنازلَ اسماعيلُ للشركةِ عن الأرباحِ التى كان يأخذها .. وكان المفروض أن تأخذ مصر ١٥ ٪ من أرباحِ الشركة

زيادةً على أرباحِ أسهمنا . .

أى أن بريطانيا أخذت نصيبَ مصرَ بدونِ مقابل .. انجلترا حصلت مَجّاناً على هذه الأسهم . وبعد أن كانتْ القَناةُ محفورةً لمصرَ ؛ كما قال دلسبس للخديو ؛ أصبحت مصرُ ملِكاً للقناةِ . .

●

عادت بى الذاكرةُ إلى الكلامِ الذى كنّا نقرؤه عام ١٨٥٤ فقد قالَ البنك الدولى :إنه مستعدٌ لإقراضِنا ٢٠٠ مليون دولار على خمس سنوات ، ونحن نصرف خلالها ٣٠٠ مليون دولار. ولكنه لم يضمن أن تدفعَ أمريكا وانجلترا أكثر من ٧٠ مليون دولار ..

وعلى هذَا الأساسِ بدءوا يشترطون الشروط ..

وظَهرَ الفخُ ..

نأخذُ ٧٠ مليون دولار .. ونبدأ فى المشرُوع ، ونصرفُ المال فنطلبُ من البنْكِ مبلغ ٣٠٠ مليون دولار ، فيعرضُ علينا البنْكُ شروطَه .. وإما أن نقبلَ شروطَ البنْكِ أوأن يتوقفَ المشروعُ ويضيعَ ماأنفقناه هباءً . وليتحكموا فيناعندما تستنزف أموالنا قبل أن نصلَ إلى أية نتيجةٍ .

ومعنى هذا : أن يُرسلَ البنكُ من يجلسُ مكانَ وزيرِ الماليةِ ومَن يجلسُ مكانَ وزيرِ التجارةِ ومَن يجلس مكانى أنا ..

هذا هو الفخ الذى انكشف .

من هنا كان كلما قعد « بلاك » وتكلم ، يعود بى التفكير إلى « دلسبس »

هذا هو ما حدثَ فى الماضى ..

فهل يعيدُ التاريخُ نفسَه ثانيةً ويعودُ إلى الخِداع والتضليلِ ؟

كلا .. لا يمكن مطلقاً .. لا يمكن أن يعودَ التاريخُ مرةً أخرى .

لن نقبل أن يعيدَ التاريخُ نفسَه مرةً أخرَى .

إننا فعلا نحسُّ بالقلق من التحكمِ والسيطرةِ .. ومن كلِّ شيءٍ يذكّرنا بالاستعمارِ الذى عانينا منه كثيراً .. ونحن نحاولُ إخراجَ شظاياه من أجسامِنا .

وعادت القناة لأصحابها

نحن لا نُكرِّر الماضى .. بل نحن نريدُ أن نبنى بلدَنا .. ونتجه إلى الأمامِ ، وإذا التفتنا إلى الخلفِ ، فلنهدمَ آثارَ الماضى التى حدثت رغماً عنا خداعاً وتضليلا .. لن نُخْدَعْ مرةً أخرى .. لن يخدَعنا الاستعمار ..

وفى ذلك الوقت كنت قد سافرتُ إلى بلجراد (١) لمدة أسبوعٍ لاجراءِ محادثاتٍ مع «المارشال تيتو والبانديت نهرو» وجاءنى النبأ فى الطائرةِ وأنا فى طريقِ العوده إلى القاهرةِ من اجتماع « بريونى » (٢)

---

(١) ١٢ يولية ١٩٥٦ .

(٢) هذا الاجتماع حضره الثلاثة الكبار فى جزيرة بريونى بالبحر الأدرياتيكى وهم : شرى نهرو رئيس وزراء الهند الراحل ، والمارشال تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافيا والرئيس جمال عبد الناصر . وقد وضع هذا المؤتمر في ٢٠ يوليه ١٩٥٦ قرارات هامة لتقوية الروابط مع الدول التى ترفض الانحياز ، وتحقيق التعايش السلمى العالمى ، وتحريم أسلحة الدمار ، ونزع السلاح ، ووجوب حل مشكلات فلسطين والجزائر — قبل استقلالها — والمانيا وتمثيل الصين الشعبية فى الأمم المتحدة) .



عدتُ إلى القاهرة لأواجه النتائجَ ووجدت قرار« دالاس» (وزير خارجية أمريكا) بسحب عرض المساهمة فى تمويل السدّ العالى .. وقد كانَ « نهرو» ضيفاً فى القاهرةِ ، فوجهتُ كلَّ اهتمامى إليه ، ولم أتفرغْ لأفكرَ فى المشكلةِ إلا بعدَ أن غادرَ البلاد .

ولزمتُ الصمتَ ثلاثةَ أيام ..

كان من المُحال وضعُ المشروع على الرفِّ بعد أن تراجعتْ الولاياتُ المتحدةُ الأمريكيةُ ومن ورائها بريطانيا، ثم البنكُ الدولى عن تمويلِ المشروع . ولم يكن أمامى وسيلةٌ أخرى لزيادةِ الدخلِ القومى بهذه الدرجةِ الواضحةِ إلا تأميم القناة ..

●

كان رفضُ القرضِ لبناءِ السدِّ العالى هوَ الدافعَ المباشرَ .. ووجدنا أن خيرَ ما نفعله أن نعتمدَ على أنفسنا .. مؤمنين بحقنا فى تأميم القناة ..

لقد بُنيتْ القناةُ من أجل مصرَ .. ولمنفعةِ مصرَ .. ولكن أصبحتْ مصرُ مِلكاً للقناة .. وسألت نفسى :

ـ هل خضعتْ القناةُ لقوانينِ البلادِ وعرفِها ؟

كلا ، كانتْ دولةً فى داخلِ الدولةِ تعتمدُ على الاستعمارِ وتعتمدُ على مؤامراتِ الاستعمارِ وأعوانهِ ..

كانت صرحاً من صروح الاستبدادِ ومنبعاً للاستغلال ، واستنزافِ المال ..

مثلا : دخل القناة ١٠٠ مليون دولار كلَّ سنة ، تأخذُ

منها مصرَ ٣ ملايين دولار فقط .. وبريطانيا تتلقى الفوائد كلّ سنة منذ افتتاحِ القناة ..

اغتصبتْ بريطانيا حقّنا فيها .. الشركةُ التى قامت من أجل مصلحةِ مصرَ .. دخلُها لم يكن لمصرَ .. كان يذهب لهم طبعاً .. ومع هذا فقد كان اسمها : شركة مساهمة مصرية .. وهذه الشركة مقرُّها باريس ..

هذه القناة ملكٌ لمصر .. حفرَتْ بواسطة المصريين .. ١٢٠ ألف مصريٍّ ماتوا أثناء حَفْرِها .. قناةُ السويس التى ضحّيْنا فيها ، قناةٌ مصريةٌ .. مصرُ هى التى مات من أبنائها ١٢٠ ألف عامل ..

هذه القناةُ ملكٌ لمصْرَ .. نَسْتَرجعُها من أجلِ التصنيعِ ونبنى بها تَقدمنَا ..

وحسْبَ القانونِ الدولى كلُّ دولة من حقّها تأميم الشركات المنشأة داخلَ حدودِها الإقليمية ، ١٠٠ مليون دولار تحصّلها القناةُ كل سنة .. سنحصّلها نحن لمنفعةِ مصر ، وعلى ذلك فلن ننظرَ إلى المعونة الأمريكية التى كانت ٧٠ مليوناً فقط .

●

وفى ليلة ٢٦ يولية ١٩٥٦ ، كان علىَّ أن ألقىَ خطاباً

فى الإسكندرية .. وكان فى نيتى أن أعلنَ فى هذا الخطاب تأميمَ القناة ..

وكان الجنودُ المصريون ينتظرون ومعهم أوامرُ بالاستيلاءِ على مكاتبِ شركةِ قناةِ السويس ومنشآتها .. وكانت كلمةُ السرِّ للبدءِ فى العمليةِ هى أن أذكرَ «دلسبس» فى خطابى ..

وقلت :

هذه الشركةُ التى مقرُّها باريس مغتصبة مثل «دلسبس»، مثل «بلاك» عندما جاء .. سنبنى السدَّ العالى .. سنبنيه ونحصل على حقوقنا .. سنعتمدُ على سواعدنا وعلى دمائنا .. فنحنُ أغنياء .. كنا متهاونين فى حقوقنا .. أما اليوم فسوف نسترد هذه الحقوق خطوةً ، خطوةً .. وأقول باسمِ شعبِ مصرَ إننا سنحافظُ على هذه الحقوق ودونها دماؤنا وأرواحُنا .. وسنبنى مصرَ القوية .. مصرَ العربية .. وقد وقّعتُ اليوم ، ووافقت الحكومة على القانون الآتى :

باسم الأمة .. قرار من رئيس الجمهورية :

«تؤمَّمُ الشركةُ العالميةُ لقناةِ السويس البحرية إلى شركةِ مساهمة مصرية .. »

وبمجرد أن انتهيتُ من إلقاء خطابى ، كانت العمليةُ

كلُّها قد نُفذتْ .. ولا أعرف شيئاً مرَّ بهدوءٍ فى حياتى كما مرّتْ هذه العملية ..

●

بعد مائةِ سنةٍ عادت الحقوقُ إلى أصحابها.. عادت حقوقُنا فى قناةِ السويسِ بعد ١٠٠ سنة .. وأصبحتْ القناةُ مِلكاً لمصرَ بعد أن كانت مصرُ مِلكاً للقناة .

أممّنا القناةَ حتّى تعودَ أموالنا إلينا .. أموالنا التى يستغلونها ويمتصّونها فى أرضِنا .. وبكل تأكيد ليس عيباً أن أكون فقيراً ولكن العيب امتصاص الدماء .

أممّنا القناةَ ونحن نعتقدُ أننا بهذا نُشعرهم أن هذا الشعبَ لا يرضَى الإهانةَ والهوان . حتّى يشعرالاستعمارُ أننا ، وإن كنا دولةً صغيرة لا تملك القنابل الذرية ، لكننا نحافظ على استقلالنا وكرامتنا .. لن نكرِّر الماضىَ أبداً .. ولن نلجأ إلى تجّارِ الحروب ..

نحن لسنا دولةً عُظمى ، ولسنا دولةً كبرى ، إنما نحن دولةٌ على قدرِ الحالِ نحاول أن نبنىَ أنفسَنا بأنفسِنا .. أممّنا القناةَ فقامتْ قيامةُ الاستعمار .. هدّدَ .. وتَوعّدَ .. وهذا له قصةٌ أخرى ..

كل انتصار.. محطـــة سرية

حتى أنا .. لم أكن أتصورُ مدى الفرحةِ التى استقبل بها الشعبُ قرارَ تأميم القناة .. لا الشعبُ المصرى وحده ، لكن العالم العربى كله . خرجت بعد تأميم القناة إلى الشارع والشعبُ كله يهتف : « حنبنى السد .. حنبنى السد .. »

إننا اليوم ونحن نستعرضُ التاريخَ الماضى ، أحسستُ أننا نبنى أيضاً سدَّ العزةِ والحريةِ والكرامة .. ونقضى على سدود الذلِّ والهوانِ والاستعباد .. إننا يجب أن نبنىَ السدَّ العالىَ فى سبيلِ المجتمعِ الذى نريدُه . ويجب أيضاً أن نبنى بيدٍ ، وندافعَ عن بلدنا بيدٍ أخرى، حتى لا يتحكمَ فينا مُستبدٌ ، ولا يتحكمَ فينا مستعمر . .

وبعد تأميمِ القناةِ ، اتبع الاستعمارُ أساليب معينة ..

أساليبَ هو خبيرٌ فيها باستمرار .... وبدأت حربُ الدعاية ضدّنا ..

●

بعد تأميمِ القناةِ بسبعة أيام بدأتْالإذاعاتُ السريةُ ضدَّ مصر.. ضدَّ الانتصاراتِ الكبيرةِ وللتشكيك فى مشروعاتٍ معينة ..

كنا نسمع محطاتِ إذاعةٍ تتكلم فى الليل والنهار.. ظهرت محطةٌ سريةٌ اسمها «صوت الحق» تهاجم الشعبَ المصرىَّ والشعب السورى . ومحطةٌ سريّة أخرى اسمها «صوت مصر الحر» تهاجمَ الحريةَ والأحرار .. كان ذلك بعد معركةِ «بورسعيد» .. كلُّ انتصارٍ بمحطةٍ سرية .

اتبع الاستعمارُ أساليبَ متعددةً للمحطاتِ السرية التى تذيعُ ليلا ونهاراً وتقول كلاماً بذيئاً .. وقد قال نائبٌ بريطانى :

إن هناك محطاتٍ سرية ًانجليزيةً تقدمُ إذاعاتٍ بذيئة ..

والحكومة الإنجليزيةُ بما عهدناه فيها ، كذبتْ هذا الكلام. وكلنا نعرف أن الكلامَ الذى تقوله المحطاتُ الاستعمارية أكثر من بذىء، يهدف إلى تحقيقِ أهدافِ الاستعمارِ وتضليلِ الأحرار ..

إنهم ساخطون علينا ويشتموننا ليلا ونهاراً فى إذاعاتهم وفى صحفهم .. لماذا ؟

كنا فيما مضى ، قبل الثورة نسمعُ الكلامَ ونسيرُ بجانب الحائطِ وكانت هذه الحالُ بالنسبةِ لهم مريحةً جداً ، ولهذا لم يكونوا ساخطين علينا ..

وبدأتْ حملةٌ بواسطة مكاتبِ الاستعمار تُوزِّع الصورَ الكاريكاتورية فى جميع البلادِ العربية وترسلها أيضاً هنا فى مصر .. ولكنَّ الوعيَ العربيَّ كان أقوى من قوةِ الاستعمار، والعربُ الأحرارُ كانوا يقولون لنا :

« شوفوا الاستعمار بيعمل إيه »

العرب عاشروا الاستعمارَ وعرفوا أساليبَه وأهدافَه.. الاستعمارُ الذى وعد أهلَ فلسطين بالحرية سنة ١٩١٧ وبأن يكونوا دولةً مستقلة ، وأعطى فى نفس الوقت وعد «بلفور» الذى يعطى فلسطين لليهود ..

هذا الاستعمار ليس غريباً علينا .

ولم يقتصِر الأمرُ على هذا الحد ، لقد زُوِّرتْ الجرائدُ المصرية .. مثلامجلة روز اليوسف المصرية ، عملوا مجلةً أخرى تشبه روز اليوسف تماماً ، وفيها معلوماتٌ مزوَّرةٌ وكاذبة

ضدَّ مصر ووزَّعوها فى أنحاء العالم العربى وفى نيويورك بإمكانياتٍ كبيرةٍ جداً .

أما الصحافةُ الأمريكيةُ فهى تصنعُ الحكاياتِ ثم تصدِّقها ثم تبنى أحكامها على أساسِ هذا التصديق ، وحين نقرأ فى صحفِ الدول الاستعمارية نجد كلاماً فارغاً يُعبِّر عن الحقدِ وعدمِ الاعترافِ بالحقيقة ، وأول مرةٍ اعترفوا بالحقيقة حينما نشرتْ إحدى الصحف الحقيقة عن التطورِ الاقتصادى فى بلادنا .

ومرةً أخرى أريد أن أقولَ : إن وسائل الاستعمارِ لاتنطلى علينا ، لكننا نكشفها يوماً بعد يوم ، ولقد ذكرتُ على سبيلِ المثالِ محطاتِ الدعايةِ التسع السرية التى تعملُ ضدنا .. والغرب هو الذى يشنُّ علينا حربَ الدعايةِ والحربَ السياسيَّة والحربَ الاقتصادية ، ولقد اتضحتْ النياتُ العدوانيةُ المتربصةُ بنا ، فى حين تحقق أنه ليس لدينا نحن أىُّ نيَّاتٍ عدوانية .

إننا نريدُ أن ندافعَ عن أنفسنا .. وهذا حقٌّ مشروع .

إننا نعتبر أن حقَّنا فى الدفاعِ عن أنفسنا ضدَّ العدوان بجميعِ أشكاله حقٌّ مقدسٌ لنا ، والمعركةُ من ناحيتنا معركةٌ دفاعية .. هذه هى حقيقة الموقف .

وإن شاء الله سننتصر دائماً وسيعملون محطاتٍ سرية .

القناة ليست للبيع أو للإيجار

كُنَّا ننادى بالسلام ونقول إننا نعملُ من أجل رفاهيةِ أبناءِ مصر ، ولكن هل تركَنا تجارُ الحروب نبْنى من أجل حياةِ الرفاهيةِ لجميع أبناء الوطن ؟

الاستعمارُ لا يريدُ لنا أن نبنىَ ولا أن نرفعَ مستوى المعيشة ، ولكن الاستعمارَ كان يريد منا أن نعملَ من أجلِ أهدافه ومن أجل تنفيذِ سياسته ..

إن المشكلةَ الحقيقيةَ هى تدخُّلُ الاستعمارِ المستمرُّ فى أمورِنا ، وإصرارُه على أن يُعيدَ الشرقَ العربىَّ إلى مناطقِ نفوذِه التى تمرَّدَ عليها بالرغم من أنهم نادَوْا بحريةِ تقريرِ المصير ، وبحريَّةِ الشعوبِ فى تقرير مصيرها .. هذه هى مبادىء الأمم المتحدة التى نادوا بها والتى أعلنوها بعد الحربِ العالميةِ الثانية ،

لكنهم اليوم تنكّروا لتقرير المصيرِ ولحريةِ الشعوب . ولست أفهم لماذا لا يحترمون إرادةَ الشعبِ العربى ؟ ولماذا يُصرُّون على موقفِهم هذا ؟

الاستعمارُ لم يرضَ أبداً أن يرى مصرَ وقد تحرَّرتْ من العبودية . وحاول الاستعمار دائماً ألا تقومَ لنا قائمة .، وكان يقفُ لنا دائماً بالمرصاد ، يريد منا أن نكونَ أذلاَّء تابعين ، نحيا حياةً جُرِّدتْ من الشرفِ ومن الكرامة .

لكنَّ الحياةَ الذليلةَ هى العبودية ، والموتُ خيرٌ من الذل .

وأراد الاستعمارُ أن يُشعرَنا بأن معركتَنا فى سبيلِ الحريّةِ والاستقلالِ سنذوقُ فيها الويل .. ونذوقُ منها العذاب .. فصبرْنا .. وكافحْنا ..

بعد تأميمِ القناة .. بدأ الاستعمارُ يهدِّدُ .. بالحربِ والقوّة والعدوان ..

بعد التأميمِ بدأتْ حربُ الأعصاب ..

حسب الاستعمارُ .. وقادةُ الاستعمارِ ، وقالوا : إن مصر ستقفل قناةَ السويس .. ستقفل طريق المواصلاتِ الرئيسى ، وكانت هذه مشكلةً مفتعلةً ـ خلقتْها فرنسا وبريطانيا .. بل أمروا مرشديهم أن يتركوا خدمةَ القناة يوم ١٤ سبتمبر ١٩٥٦ .. فى منتصف الليل .. حسبوا بغير شكٍّ أنهم بهذا

يشلّون حركتنا ..

وفى الظروفِ العادية يحتاج تسيير الملاحة ٢٥٠ مرشداً ولم يبق لنا بعد أن تخلّى المرشدون البريطانيون والفرنسيون عنا ، سوى ستةٍ وعشرين مرشداً مدرباً ، وثلاثين مرشداً تحت التمرين .. ولكن بعض المرشدين المصريين اشتغلوا ٧٢ ساعة بلا توقّف ..

وفشلتْ هذه المحاولةُ .. وظلتْ القناةُ مفتوحةً ، ولم يحدث فيها أى تعطيلٍ أو توقفٍ ، وتمكنا من إدارة القناةِ وأثبتْنا كفاءةً فى ضمان سلامة الملاحةِ فى القناة منذُ الليلة الأولى. فموقفُنا واضح . القناة فى نظرنا لا تثير مشاكلَ بالمرة .. وموقفنا واضحٌ فى رغبتنا على المحافظةِ على مصالحنا مع رغبتنا رغبةً أكيدةً فى التعاون مع الدولِ المنتفعةِ بالقناة .

هل أقفلنا قناةَ السويس ؟

تركنا قناةَ السويسِ مفتوحةً لتكون خيراً لنا وخيراً للإنسانية ..

وموقفُهم واضح .. لم تكنْ المشكلةُ خاصةً بالملاحة أو باستخدامِ قناةِ السويس فى نظر البريطانيين أو الفرنسيين .. بل كان هدفهم إفسادَ خطتنا حتى لا نتمكّنَ من مواجهةِ نفقاتِ بناءِ السدّ العالى باعتمادنا على دخل القناة .

وبعد التأميمِ .. سألونى : هل من الممكن أن تدرس اقتراحاً بتأجير قناة السويس لمدةِ عشر سنوات ؟

وطبعاً لم آخذ هذا العرضَ المضحكَ على محمل الجدّ وأجبتُ :

ـ قناةُ السويس ليستْ للبيع ولا للتأجير .

فقالوا :

ـ ولكنّ تأجيرَ قناةِ السويس سيُموّل مشروعَ السدِّ العالى .

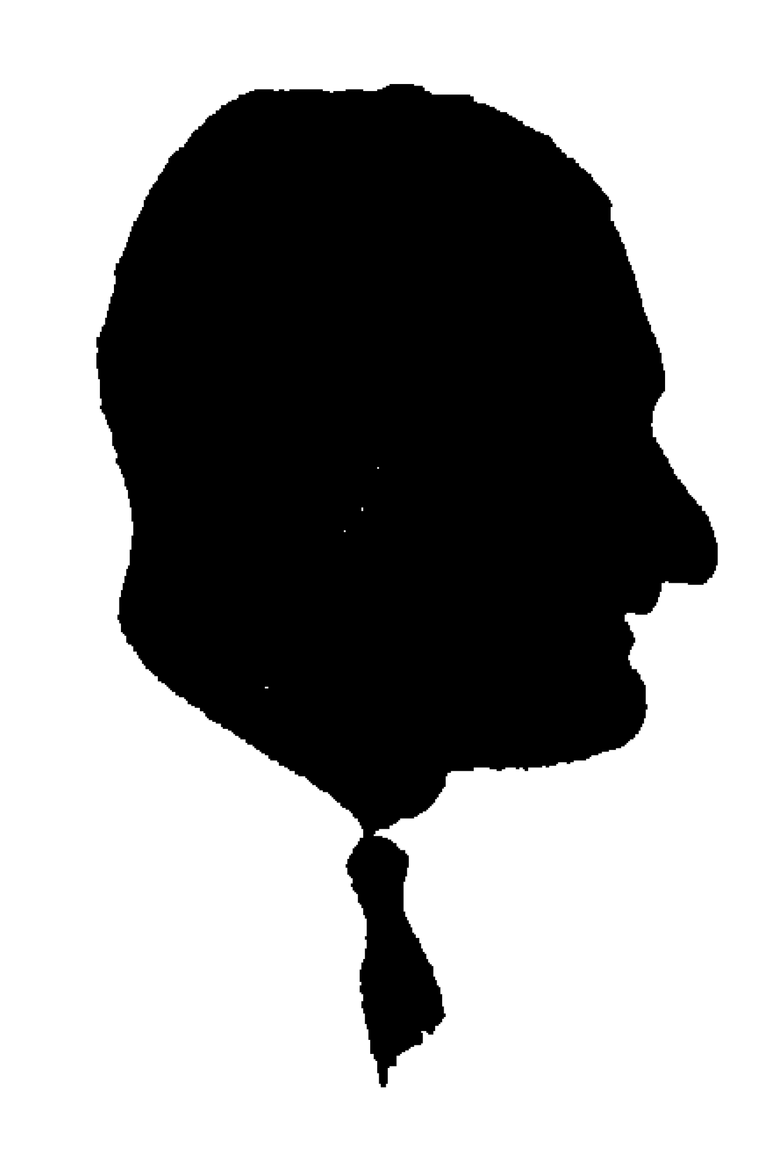
فقلت :

ـ حقاً ، ولكن السياسيَّ المسئولَ ، لايستطيع أن يبيعَ أو يؤجّرَ سيادةَ بلاده .

●

وأرادَ الاستعمارُ أن يعطىَ لمصرَ درساً تفهمه وتستوعبه الدولُ الأخرى التى تهدفُ إلى الحرية والكرامة . . فدَعتْ دولُ الاستعمار إلى عقد مُؤتمرٍ فى لندن .. وبدأ مؤتمر لندن يدعو إلى تدويلِ القناةِ التى هى جزءٌ من مصر . وهذا تعبيرٌ مهذبٌ عما ينبغى تسميته بالاستعمار الدولى .

وأراد «مؤتمر لندن» أن يفرضَ علينا رأيهُ فرضاً .. وأرسل إلينا بعثة برئاسة « منزيس » رئيس وزراء استراليا



ومعه لجنة تمثل ١٨ دولة ..

أتى بالتهديدِ والوعيد .. جاء إلى مصر وطلبَ منا أن نقبل تدويلَ القناة .. وكان ردنا :

ـ القناة جزءٌ من مصر ولا يمكن تدويلُها لأنها تُحدّ بأرض مصر، ويعيش عليها أبناءُ مصر ..

وهدّدنا « منزيس » وقال :

ـ إن القناةَ إذا لم تُدوّل ستُصابُ بمتاعبَ لا أوّلَ لها ولا آخر ..

قلت له :

ـ إذا كانت المتاعبُ ستقابلنا على أى حالٍ من الأحوال فخيرٌ لنا أن نقبلها من الآن ، ولا داعى للمفاوضات .

وقلتُ له : إن شعبَ مصرَ لا يسمحُ لكرامته أن تُمَس .

عاد « منزيس » إلى لندن فاشلاً .. فهو لايؤمنُ أن مصرَ يمكن أن تديرَ القناة .. ويؤمن بأنه لابدَّ من تدويل القناة .. يؤمن أن القناةَ لابد أن تكون مِلكاً للدولِ الاستعمارية .

●

وحينما عُرِضَتْ مشكلةُ قناة السويس على مجلس الأمن ، فإن « الفيتو » السوفيتّى هو الشىء الوحيد الذى أوقفَ قرارَ مجلس الأمن ومنعَ تدويل السويس ، وكان الجميعُ فى جانب تدويلِ القناةِ ماعدا الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا .

وعندما التقيتُ بالشعب السوفيّتى فيما بعد قلت لهم باسم شعب مصر : إننا شعبٌ نصادقُ من يصادِقُنا ونعادِى من يُعادينا .. وإننا شعبٌ يحفظُ الجميل .

خرج الاستعمار من الباب ..
وعاد من الشباك

كُنَّا نعملُ على بقاءِ القناةِ مفتوحةً للملاحة ، بينما كانوا يعملون على إغلاقها .. وقد أغلقوها فعلا .. بالعدوان .. هاجمونا .. وسدُّوا مجرى القناة ..

كنَّا نقول : نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا ..

كنا نقول : ليستْ لدينا أيَّةُ نوايا عدوانية ..

ولكن هل تخلَّتْ انجلترا عن حقدِها وعن مكرِها ؟

خرجتْ القواتُ البريطانيةُ وبعد أربعة شهور ، رجعوا ثانية ليحتلُّوا مصر بالطائرات .. بالحرب .. بالعدوان .. معركتنا مع الاستعمار بعد الجلاء لم تنته ..

الإنجليز خرجوا فى يونية ورجعوا فى أكتوبر من نفس

العام .. أربعة أشهر أحسسْنا فيها بطعم الحريّة ..

ولكن ، كانت انجلترا تقفُ لمصر دائماً بالمرصاد .. فهى ترى فى قوةِ مصرَ تهديداً لمصالحها فى الشرق الأوسط .. فحينما أثبتَتْ مصرُ وجودَها فى العالم كقوةٍ عسكريةٍ ، وحينما وجدت انجلترا أن قواتها المسلحة أصبحت عاملا هاماً فى القضاء على النفوذ البريطانى ، تكاتفت دولُ الاستعمارِ على هدمها وتآمرت بريطانيا على مصر واستطاعت فى هذا الوقت أن تُنزل بمصر ضرْبةً حينما قضتْ على أسطولها فى معركة «نفارين» سنة ١٨٢٧ . وبعد هذا فى سنة ١٨٨٢ ، لم تقبلْ انجلترا أن تنهضَ مصر ، وأن تخلُقَ لنفسها شخصيةً قوية فتآمرت عليها مرةً أخرى ، واستطاعت بالخديعةِ أن تثبِّتَ أقدامها .. هذا هو التاريخ .. تاريخُنا فى الماضى .

●

أما فرنسا . فكانت تريدُ بالدرجةِ الأولى ضربَ مصرَ باعتبار مصرَ قاعدةً لحركة الثورة العربية .. فرنسا كانت ترى فى قوة مصر تهديداً لنفوذها فى شمال أفريقيا .. كانت تريد أن تُبعد مصرَ عن أداء دورها المشروع والحقّ فى تأييدِ ثورةِ شعبِ الجزائر - كانت فرنسا تريد إخضاع القاهرة

وهى تعتقدُ أنها تستطيعُ بذلك إخضاعَ ثورةِ الجزائر .

تآمروا بخبثٍ ومكر .. بطريقةٍ لا تدعو للاحترامِ بل للسخرية .. هل سيعيد التاريخُ نفسه ؟

لقد بدأتْ المؤامرات بمؤامرة إنجلترا وفرنسا وإسرائيل بهجوم إسرائيل الفجائى على الحدود المصرية يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر (١٩٥٦) ، بدون أى سببٍ إلا التآمر ، وإلا حقد بريطانيا .

فى صبيحةِ هذا اليوم عبر الإسرائيليون حدودَ مصرَ .. وحينما هجمت إسرائيل أعلنت بريطانيا أنها لن تستغلّ الفرصة .. ولكن ..

فى اليوم التالى .. فى يوم ٣٠ أكتوبر ، قُدّم إلينا إنذارٌ بريطانىٌّ فرنسى .. إنه أعجبُ إنذارٍ فى التاريخ .. أعجب إنذارٍ يُوجّهُ من دولةٍ إلى دولة ..

والإنذارُ يطلبُ وَقفَ القتال ..

وقف القتال .. والقواتُ الإسرائيلية المعتدية لا تزالُ داخل الأراضى المصرية .. ويطلبُ الإنذار مِنْ مصر ، ومن إسرائل أيضاً الانسحاب عشرة أميال عن قناة السويس .. يطلب بأن ينسحبَ كلٌّ من الجانبين إلى مواقع تبعد عشرة أميال



جوزيف بروز تيتو

بطل كافح ضد الاستعمار

عن قناة السويس .. وإلا .. التدخل .. ويطلب الإنذار قبولَ احتلالِ بورسعيد والاسماعيلية والسويس بواسطة القوات المسلحةِ البريطانية والفرنسية من أجل حماية الملاحة فى القناة.

حدث هذا فى وقتٍ كانتْ الملاحةُ فيه مستمرة .. ولم تُهدَّد إطلاقاً .. وقالتْ بريطانيا فى إنذارها : «إذا لم يصل الرد قبل ١٢ ساعة فإنها ستعمل على تنفيذ ذلك» .

* * *

طبعاً إسرائيل كانتْ سعيدةً بهذا الإنذار لأنه يحقّقُ لها أهدافها .. وأعلنتْ إسرائيل حليفةُ بريطانيا وفرنسا أنها وافقتْ على هذه الشروط ..

طبعاً إسرائيل توافقُ على أن تنسحبَ عشرة أميالٍ عن القناة. وقف القتال .. توافقُ عليه أيضاً لأنها المعتدية ..

واحتلالُ بورسعيد والاسماعيلية والسويس .. إسرائيل توافق عليه طبعاً .. لأن إسرائيلَ هى الوحيدةُ التى عارضتْ فى جلاءِ بريطانيا عن منطقةِ القناة . أمامصرُ ، فكانت الضحيةَ لهذا الانذار ..

لكن هل نقبل احتلال بريطانيا وفرنسا لقطعةٍ من أرضِ مصر ؟

هل نقبل راضين هذا الاحتلال أم هل نُقاتل فى سبيلِ حريةِ وطننا وفى سبيلِ الشرفِ والكرامة ؟

إننا نقولُ : نسالم من يسالمنا .. وسنقابل العدوانَ بالعدوان .. وهناك فرقٌ بين السلام والاستسلام .. السلام لا يعنى مطلقاً الاستسلام .. ولكن يعنى السلامَ الحرَّ الشريفَ المبنىَّ على حقِّ الشعوب فى حُريتها وفى أن تحكم نفسها بنفسها وأن تتمتع بحريتها وبخيراتها ..

إننا ننادى بالسلام .. سلام عن عزةٍ وكرامةٍ وشرف .. وإننا نحمى السلام بدمائنا ، بعرقنا ، بعملنا لنعيش عيشةً حرةً نتمتّع فيها بأرضنا وبحكم أنفسنا ..

هذا هو السلام .. وهذه هى سياستنا التى أعلنّاها .. أن نعيشَ أحراراً كراماً فى بلادنا ..

ورفضتْ مصرُ الإنذار ..

وكان الشعبُ فى الشارع ينادى : سنقاتلُ .. سنقاتلُ .. كلُّ واحدٍ يقول : «حنحارب .. حنحارب» .. الشعبُ كلُّه تجاوب .

رفضتْ مصرُ الإنذارَ وأعلنتْ بعد هذا الإنذار أنها لا يمكن أن تسمحَ أو تقبلَ ولا يمكن أن توافقَ على احتلال بورسعيد والإسماعيلية والسويس بقواتٍ بريطانيةٍ وفرنسية ..

أعلنتْ مصر أنها ستقاتل لأن الشعبَ المصرى كلَّه سيهب تحت السلاح ،فلابدَّ من تحريرِ مصر ، ولابدَّ من جلاءِ قواتِ الاحتلال .. لابدَّ من توزيعِ السلاح لا على أهل القناة فقط ، وإنما نوزِّعهُ على جميع أبناء الجمهورية لأنها معركة تخصُّ المصريين جميعاً .. وما من شكٌّ فى أننا جميعاً نحلم بمصرَ المتحررةِ القوية ، ذلك أمرٌ ليس فيه خلافٌ بين مصرىٌّ ومصرى ..

ورفضتُ الانذار على الفور وصممنا أن نَفْدِىَ بلدنا .. رفضنا إنذار بريطانيا فى سنة ١٩٥٦ وأبلغْنا مجلسَ الأمن .. رفضنا ونحن نعلم أن بريطانيا تملك القنبلة الذرية .. وتملك الصواريخ ولأساطيل .. لكنَّ هذه القنابل ستخبو ثم تنقلبُ رماداً وتبقى شعلةُ الحرية عاليةً مرتفعةً لا يمكن أن تخبوَ أو يُطفأ لها وميض ..

* * *

وفى الساعة السابعة من مساء الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ، أصدرت وزارة الدفاع البريطانية بلاغاً بأنها ستضرب المطاراتِ المصريةَ نتيجةً لرفْض مصرَ الإنذار البريطانى الموجَّه إليها بسحب قواتها على بعد عشرةِ أميالٍ من القناة ..

وبدأتْ بريطانيا وفرنسا فى الساعة السابعة من مساء (نفس اليوم) الأربعاء ٣١ أكتوبر بغاراتها الجوية على القاهرة وعلى منطقة القناة وعلى الإسكندرية .. ولما سمعتُ أزيزَ الطائرات قلتُ على الفور :

ـ إنَّ هذه ليستْ طائراتِ إسرائيلية فليس لدى الإسرائيليين قاذفاتُ قنابل نفاثة ..

وصعدتُ على عجلٍ إلى سطح بيتى فى مصر الجديدة واستطعتُ منه أن أرى قاذفاتِ القنابل تضرب مطارَ القاهرة الدولى ، فأقمتُ فى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة وجعلتُ منه دارى ومقرَّ قيادتى حتى انتهت حرب السويس ..

أبلغنا مجلسَ الأمن ولكن بريطانيا وفرنسا استهانتا بجميع القوانينِ الدوليةِ وبميثاقِ الأممِ المتحدة وبالرأى العام العالمى واعترضَتَا على قرارٍ بوقف إطلاق النار ، وقال « إيدن » :

« إن بريطانيا لا تعترف بقراراتِ مجلس الأمن وستعمل ما فى وسعها كى لا تُعتبر إسرائيل معتدية لأن عملهَا من أحسن الأعمال » .

وأذكر هنا كلمة قالها « هيوجيتسكل » النائبُ فى مجلس العمومِ فى بريطانيا .. قال « لإيدن » أيامَ العدوانِ على مصر :

« إذا كنتَ تتصور « يا إيدن » أن الدنيا قد أصبحتْ غابة فأرجوك أن تتذكر أننا لسنا أقوى الوحوش فى الغابة ».

هل نقاتل أو نسلم ونحن نواجه هذا الموقف؟

لابد أن نقاتلَ ولابد أن نتحمَّلَ الضحايا فى سبيل المحافظةِ علىَ شرفنا فتاريخُ الشعوبِ فى الكفاحِ هو الذى يكتب لها المستقبلَ لتأخذَ من الماضى دروساً تتعظ بها وتعمل على هداها..

أيامَ النبيِّ «محمد» سقط شهداء .. أيامَ الإسلامِ سقط شهداء حين فُرض عليهم القتال ..

وأيامَ المسيحية سقط شهداء ..

واليوم يسقط منا شهداء لأننا نقاتل بعد أن فُرض علينا القتال. أما الاستسلام فلن يُفرض علينا أبداً ..

ولقد قاتلتْ شعوب من قبلنا ضدَّ قُوَى الظلم التى تفوقها عتاداً .. فانتصرت ..

قاتلت يوغوسلافيا ، قاتلت بأسلحتها الصغيرةِ ، الفرقَ المدرعةَ الألمانيةَ والسلاحَ الجوىَّ الألمانىَّ وانتهتْ ألمانيا المعتديةُ ، وانتصرت يوغوسلافيا ..

قاتلت إندونيسيا قواتٍ تفوقها .. و انتصرت إندونيسيا وانتهت القواتُ المعتدية ..

وكان شعبُ الهند الصينية يحارب الاستعمارَ الفرنسى ودام هذا النضال سبع سنواتٍ ولكنه انتصر فى النهاية ..

●

ووقعتْ الجزائر تحت السيطرةِ الاستعماريةِ سنة ١٨٣٠ ، ومنذ هذا التاريخِ وشعبُ الجزائر فى ثوراتٍ مستمرةٍ دائمة ضد استعمارٍ يحكمُ بالحديدِ والنار فالمستعمر لم يكتفِ باحتلالِ الأرضِ الجزائريةِ وإنما أراد أن يجعلهاميداناً لتجاربه الذرية.. وتعلمتْ الجزائر كيف تحارب حرباً شاملة .. كلٌ واحدٍ فيها حمل السلاح ..

●

إن نضالَ الشعبِ الجزائرى واجه أهوالاً لا حدود لها .. لم يقبل شعبُ الجزائر أن يخضعَ للاستعمار وبذل دمه فى سبيل كفاحه البطولى من أجل أن يحصلَ على استقلاله ..

إن ما ترويه قصةُ الاستعمار فى مصر هو نفس ما ترْويه فى كل مكان ، فما زال كثير من الشعوب الآسيوية والأفريقية محروماً من حقوقه الطبيعيةِ فى الحريةِ والاستقلال بسبب سياسةِ البَطْشِ والاستعبادِ التى مازالت بعض الدول الاستعمارية تتشبث بأذيالها ..

فى أفريقيا نجد أن الاستعمارَ نهب فى القارة أخْصَبَ أراضيها

وأغنى مناصبها .. والكثيرون بيننا تصوروا أن الاستعمار قد انتهى فى أفريقيا وأنه تخلّى عن مطامعه ، وبدأ يطوى أعلامه استعداداً للرحيل : بينما الاستعمار مصممٌ على البقاء .

فى أفريقيا ما يقرب من خمسين مليوناً يعيشون تحت سيطرةِ الاستعمارِ وقواعدِه العسكريةِ ؛ وشعبُ أفريقيا يقاتل قتالاً مريراً ويطالب بحقِّه فى الحياة ويطالب بالاستقلالِ وبالمساواة .. التمييزُ العُنْصرى كحكومة جنوب أفريقيا : من أدواتِ التسللِ الاستعمارِى مثل إسرائيل .. فالاستعمارُ يمزّقُ الوطن ويقيم فيه قاعدةً له ، وهذا ماحدث بالحرفِ الواحدِ فى الوطن العربى : فى فلسطين ..

وفى فلسطين كنت موجوداً فى «الفالوجا» وكانت «الفالوجا» محاصرة ، وكان تركيزُ العدوِّ عليها ضرباً بالمدافع والطيران تركيزاً هائلا .. حوصرتْ القوات شهوراً ولكنها دافعتْ عن كيانها ضدَّ القواتِ الإسرائيليةِ المعتدية : ولما طُلب منا أن نسلّم ، كان ردّى على الضابطِ اليهودى الذى طلب منى ذلك :

إننا ندافع عن شرفِ مصرَ وشرفِ القواتِ المسلحةِ المصرية .

إن هذا الشعبَ جاهد طويلا وكافح وقاتل وناضل

ولم يستسلم أبداً . ولم يدُرْ بخاطرِه فى يوم من الأيام أن طريقَهُ هو الطريقُ السهل ، بل الطريقُ طويلٌ وشاق .. وليس هناك طريقٌ مختصرٌ أو طريقٌ قصيرٌ إلى ما نريد ..

إن الطريقَ الذى نسير فيه . طريقَ الحرية . ليس طريقاً سهلا ، إن طريقَ الحريةِ الوحيدَ هو الجهادُ ، وتكوينُ جيشٍ مدربٍ من الرجالِ والنساءِ فى كل قريةٍ وفى كلِّ مدينةٍ حتى يصبحَ الشعبُ كلُّه قوياً ..

أما الطريقُ السهلُ فهو طريقُ الاستعمار . طريقُ التخاذل . طريق السيرِ وراء الدولِ الكبرى وأن نكون ذيولا . . ومصرُنا سياستُها مستقلة ولن نكونَ ذيلاً لأحد ، ولن نكونَ تابعين لأحد ، ولن نتلقَّى أوامر من «لندن» ، فأنا هنا أمثِّل شعبَ مصر ، ولا أمثِّل إرادةَ « إيدن » أو تجارِ الحروب أو المستعمرين .

وطالما كان هناك احتلالٌ أجنبى ، فإننا جميعاً تحت السلاح لندافعَ عن أوطاننا فالشعبُ العربى سيقاوم الاحتلالَ فى كلِّ بلدٍ وفى كل مكان ولن نخافَ التهديد ولن ترهبَنا الأساطيل أو القنابل الذرية ، بل نقاتل قتالا مريراً دفاعاً عن شرفِ مصرَ وحريةِ وكرامةِ مصر . . نقاتل قُوَى الظلم .. سنقاتل ولن نسلِّم .. سنقاتل ولن نسلِّم .. ولنحمِلْ علمَ التحرير ..

ببطولة صممنا أن نفدى بلدنا

تحمَّل شعبُنا أهوالَ معركةِ السويس .. ولم يكن هذا سهلا أو هيناً ، وقد شاركت فى العدوان ثلاث دول ، بينها اثنتان من الدول العظمى استعملت فى عدوانها تلك القاعدةَ التى خلقها الاستعمار وزرعها فى قلب الوطن العربى لتقومَ دائماً بدورِها فى تهديده وارهابه ..

لما واجهنا العدوانَ الثلاثىَّ .. ولما شعرنا أنَّ الاستعمارَ يخرج من الباب ليعودَ من النافذة ؛ قاومنا بكل قوانا ورفضنا السيطرةَ تحت أىِّ اسمٍ من الأسماء ..

المعركة بالنسبة لنا كانت معركةً كبيرةً .. ربما أكبر من قدرتنا ، وطبعاً كانت أكثرَ من إمكانياتنا .. وكنا نعرف أن معركتنا عنيفةٌ .. ومريرةٌ ولكننا رغم هذا قاومنا .

وكانوا يقولون فى الخارج إن مصر لن تقاتلَ ولن تستطيعَ أن تقاومَ أو تقاتلَ فكنت أقول :

إننى من هذا الشعبِ وأعرفُ عنصرَ هذا الشعبِ وقيمةَ هذا الشعبِ ومتانة وصلابةَ هذا الشعب ..

كنت مؤمناً بمصر مؤمناً ببلدى وبأبناء بلدى وبكل فردٍ فى مصر .

كنت أعتقد اعتقاداً جازماً أن بورسعيد ستقاتل حتّى الرمقِ الأخير ..

فى هذه الأيام لم نفكرْ إلا فى الاستشهاد .. لم نفكرْ إلا فى أن نحمىَ بلادنا بدمائنا ونحمىَ وطننا بأرواحنا ..

وفى تلك الأيام وقفنا مع الحقيقة وجهاً لوجه . . العدو بتفوقه الساحق فى الطائرات ، فى الأسطول ، فى الغزو وفى الغاراتِ .. إن المعتدين قد خرجوا فى حوالى ٤٧٠ غارة جوية يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ كما يقولون هم أنفسهُم ، رغم كل هذا فقد قاومهم الأهالى مقاومةً عنيفة ..

وكنا نقاتلُ فى بورسعيد ونواجهُ الدولَ الكبرى بلا خوف لم نخفْ ، لا الكبار ولا الصغار .. ولا نستطيع أن نقول إننا لم نقلقْ ونحن نواجه دولا كبرى.. كل واحدٍ شعرَ بالقلق..

أنا شعرتُ بالقلق ، لكن لم أشعر بالقلق على نفسى بأى حالٍ من الأحوال ، طبعاً شعرتُ بالقلق على بلدى وعلى وطنى .. كلُّ واحد فينا له حق أن يشعرَ بالقلق ، ولكن كل واحد فينا أيضاً ، ليس له حقٌ بأى حال من الأحوال إلاأن يقاتلَ بشرفٍ ويموتَ بشرفٍ أو ينتصرَ بشرف . .

ولأول مرةٍ فى تاريخ مصر ، فى تاريخنا كله ، وُزِّعتْ الأسلحةُ على الشعب المصرى بحرية تامة ، وُزِّعتْ نصف مليون قطعة سلاح على أبناء الشعب المصرى .. وحارب الجيش وقاوم ، والشعبُ حاربَ وقاوم .

كانت الأمة تمثل الجيشَ الأكبرَ .. أمةٌ صممتْ على أن تنتقمَ لأيامِ الاحتلالِ الماضيةِ ..

وكانت بُورسعيد معركةً فاصلةً فى تاريخنا..فى بورسعيد كان البلدُ كلُّه يكافح ..لأن البلدَ بلدُنا ، والشرفَ شرفُنا ..

فى بورسعيد وقف الشبابُ والشيوخُ والنساءُ والبنات جنباً إلى جنب ، مع الأبطالِ ،وتعاهدوا جميعاً على أن يحموا أرضَ وطنهم الحبيب ..

خرجَ الأطفالُ فى بورسعيد ليحاربوا .. أطفالٌ لا يتجاوز عمرهم عشر سنين ، مشوْا وراءَ جنودِ الاستعمارِ بالمدافعِ الرشاشة وجعلوهم يسيرون وأيديهم على رءوسهم .



وقف الشبانُ عمر ١١ سنة و ١٢ سنة فى أيديهم البنادق وفى أيديهم السلاح..حملَ هؤلاء الشبابُ السلاحَ لأول مرةٍ، ولكنهم حملوه لمواجهة الاستعمار البريطانى الفرنسى، وللدفاعِ عن كرامةِ هذا البلدِ وحريته..حمل الشبابُ الصغيرُ السلاحَ لأول مرةٍ. ومع ذلك لم تقع أيةُ حوادث .. إن هذه تجربةٌ عظيمة لى فقد دعمت إيمانى بشعبنا ..

الشبابُ الصغير.أولادُنا الصغار حملوا السلاح ليضحُّوا بكل ما يملكون ..

ماذا يملك كلٌّ منهم ؟

يملك روحه ويملك دمه .. لايملك شيئاً آخر غيرَ روحِه ودمِه . ليعطيهما لبلده .. يضحى بهما وهو مستريح البال ، وهو مستريح الخاطر .

●

أولادنا الصغار – ١١ سنة – قاتلوا واستشهدوا ..

وحينما أذيعت أسرارَ الحملةِ على مصرَ ، قرأتُ فى كتابِ لصحفى فرنسى نزل مع القواتِ المعتدية فى بورسعيد ،أنه رأى الشباب المصرى فى سنِ ١١سنة يحمل السلاحَ ويقاتل فى عناد، وأنه استطاع أن يوقفَ الدباباتِ والقواتِ الانجليزية ..

قالوا في كتبهم واعترف بذلك الأعداءُ قبل الأصدقاءِ ،
إن الشبابَ في بورسعيد وقفوا وراء المتاريس يمثّلون المقاومةَ
الصلبة ولم يتراجعوا أبداً عن موقفِ الدفاع بل قاتلوا واستُشهدوا.

شهداء بورسعيد سقطوا في سبيل المثل العليا .. بورسعيد
ضحتْ وقاتلتْ .. بورسعيد فدتْ الدولَ الصغرى كلها ...
بورسعيد في محنتها الكبرى كانت تفْدى مصر بدمائها ..
دفعت ضريبةَ الدم فقد كانت تحمى شرفنا وشرفَ الوطن..
إن شرفَ الوطنِ لا يتجزأ . .

●

وأظهرتْ هذه المعركةُ بطولةَ الشعبِ المصرى فهو الذى
قاتل الهكسوس وقاتل الصليبيين .. وهذا الشعبُ كان يعلم
هدفه ويعرف طريقه : فقاتلنا في هذه المعركة لأننا صممنا
على أن تعود قناتنا إلينا بعد أن اغتصبها المستعمرون ..

قاتلنا لأننا صممنا على أن نبنيَ السدَّ العالى ..

قاتلنا لأننا نادينا بالقوميةِ العربيةِ والوحدةِ العربية ..

كانت هذه هى المبادئ التى قاتلنا من أجلها .. ولماذا
قاتل الأعداء ؟ لماذا قاتلتْ بريطانيا وفرنسا ، ولماذا قاتلت
إسرائيل ؟

قاتلت إسرائيل لكى تحقق الأطماعَ فى التوسُّع . ولكى تدعم القوميةَ الصهيونية .. وقاتلت فرنسا لأنها كانت تشعر ، أنها بهذا تستطيع أن تحلَّ مشكلة الجزائر . وكانت مشكلة الجزائر بالنسبة لفرنسا المشكلة الكبرى التى تُسقط الوزارات... وقاتلت بريطانيا لأنها كانت تعتقد أن انتصارَ القومية العربيةِ تهديدٌ للنفوذ البريطانى كما هو أيضاً تهديدٌ ونهايةٌ للامبراطوريةِ البريطانيةِ نفسها .

وكانتْ هذه هى الأسباب التى قاتلوا من أجلها ..

وحينما أذيعت أسرارُ الحملةِ على مصر وأسرارُ العدوان قالوا إن «بن جوريون» قال لهم :

إننى لا أستطيع أن أواجهَ مصر وسلاحها الجوى ، وطلب من (فرنسا وانجلترا) أن يحمُوا له بلادَه بالطيرانِ الفرنسى وأن يهاجموا الطيران المصرى حتى لا يتمكنَ من مهاجمة إسرائيل ..

وقد جاء فى كتاب «أسرار الحملة على مصر» ، وهذا الكتاب فرنسى ، أن الإسرائيليين فى جنوب آسيا ، أعلنوا وصرحوا قبل انسحاب الجيش ، أن الطائرات الميج كانت تهاجم كالكلاب المسعورة . . بهذا اللفظ . . وأنهم تكبدوا خسائرَ فادحة ..

وحينما أعلنت الأسرار ؛ أسرار العدوان الثلاثى على مصر ، اعترفوا بأن المدرعاتِ الإسرائيلية كانت محاصرةً ، ولم تكن تستطيع أن تتقدم وأنها استعانت و التجأت إلى البحرية الفرنسية ، لكى تعاونها بالمدفعية .. و التجأت المدفعية إلى رفح حتى تضربَ القواتِ المصرية التى كانت صامدة .. وكانت تدافع واستطاعت ، كما أذيع فى هذه الأسرار ، أن تُحاصرَ المدرعات الإسرائيليةَ المتقدمة .

واستطاعتْ كتيبتان من الجيش المصرى فى « أبو عجيلة » أن تصمدا أمام لواءين : مشاة ولواء مدرع .. وكانت « أبو عجيلة » هى المعركة الوحيدة التى قامت فى هذا الوقت بين الجيش المصرى وبين إسرائيل ..

ولتقلْ إسرائيل ما حصل فى معركة « أبو عجيلة » والخسائر التى تكبدتها فى « أبو عجيلة » .

وفى هذه الفترة ، كان عندنا ٣٠ طياراً فى المقاتلات ، وعشرة فى قاذفات القنابل .. بمعنى ٤٠ طيارا من طيارى المقاتلات ، والمفروض أن الواحدَ منهم لا يخرج فى اليوم أكثر من ثلاثِ مراتٍ .. ولكنهم خرجوا فى هذه الأيام سبعَ وثمانى مرات .. كان الواحد منهم ينزل من طائرته

ويتركها ويأخذ طائرةً أخرى غيرها ويطلع بها ..

لم يحدث هذا فى التاريخ .. لم يحدث أبداً من قبل ، أن طياراً مقاتلا خصوصاً فى الطائرات النفاثة ، يطلع سبع مرات أو أكثر .. ومع هذا كانتْ لنا السيادةُ الجويةُ ليس فقط فوق بلدنا ، وفى سيناء ضربْنا القواتِ المتقدمةَ فى «متلا» وأوقفناها .

●

إن تصميمَ هذا الشعب وإرادةَ هذا الشعب ، هو السرُّ الكبيرُ الذى نعتمد عليه .. هو القوة الكبرى التى تمكّننا من أن نفعلَ المستحيلَ ، والقوة الكبرى التى مكّنتنا من أن نرى السدَّ العالى .. هذا السد الذى حاربنا من أجله . حاول الاستعمار وأعوانُه الوقيعةَ بين رفاقِ المعركةِ الواحدةِ وشركاءِ المصيرِ الواحدِ والواقعِ الواحدِ .. حاول الاستعمارُ بكل وسيلةٍ أن يوقع بين البلاد العربية .. واستطاع أن ينجح بعض الوقت فى بعض الظروف .. ولكن هل استطاع أن ينجح إلى الأبد ؟ إن الشعبَ المصرى لم يكن وحدَه فى هذه الوقفة التاريخية الرائعة ، فى جوِّ الحربِ وأمامَ مخاطرِ العدوانِ والإرهاب .. وإنما وقفت معه أمتّهُ العربية كلُّها تدرك دوره فى النضال ..

فلما حدث العدوانُ على بورسعيد قرر عمال البترول ..

فى سوريا أن ينسفوا أنابيبَ البترول .. وحينما أصدروا هذا القرارَ كان كلُّ فردٍ منهم يعلم علم اليقين أن هذا النسفَ معناه، أنه سيصبح عاطلاً عن العمل إلى أن تصلح هذه الأنابيب .

ولما عرف اتحاد نقاباتِ العمال فى مصر بهذا القرار ، أرسل مائة ألف جنيه إلى عمالِ سوريا للبترولِ مساهمةً منه فى دفع مرتباتهم أثناء تعطيل الأنابيب، ولكنَّ عمالَ البترولِ فى سوريا رفضوا أخذ هذا المبلغ وقالوا :

ـ إننا عندما اتخذنا قرارنا هذا ، وعندما لجأنا إلى هذا العمل، كنا نعلم أننا نضحى تضحيةً أكبر وأقوى للمستقبل.

إن بترولَ العرب هو الذى يبنى الاقتصادَ الغربى .. ووصلَ الوعىُ العربى بالمواطنين العرب إلى أنهم لما عرفوا مصادرَ قوتهم أوقفوا البترول .. وقف بترول العربِ عن الغربِ عن طريقِ قناةِ السويس وعن طريقِ سوريا ..

وتأثر الغربُ ، وأصبحت الأسبابُ التى كانت أسبابَ ضعفنا فى يوم من الأيام ، أصبحت أسبابَ قوة حقيقية لنا ، ولم تعدْ أسبابَ ضعفٍ كما كان الحال من قبل .

واتسع ميدانُ القتال .. صارت معركةَ الدول العربية كلها .. دخل العربُ فى كل بلد عربى ، معركةً صعبةً ضد الاستعمار والصهيونية .. اتسع ميدان القتال ولم تبق المعركةُ

فى بورسعيد أو فى سيناء ، لكنها صارت معركةً ضد الدول العربية كلِّها . وامتد ميدان القتال .. قام شعبُ العراق فى بغداد وفى البصرة وفى النجف لينتصر لإخوته .. خرج طلبةُ المدارس الذين يمثلون الشعبَ العربىَّ المتحرر .. خرجوا بكراريسهم لينصروا القوميةَ العربية ، وحينما كانت تسيل دماءُ أبناء مصر فى بورسعيد بفعل الاستعمار ، كانت دماءُ أبناءِ العراق تسيلُ فى مدن العراقِ بفعلِ أعوانِ الاستعمار .. فكل فردٍ عربى ، فى كل بلدٍ عربى يعلم علمَ اليقين أن حريته تعتمد على تضحيته ، تعتمد على ساعده وتعتمد على دمه .

●

إن الشعوبَ العربيةَ التى يعتبرونها لاحول لها ولا قوة قد هزمتْ الدول العظمى .. فالشعبُ هو القوةُ الأساسية ، والشعبُ هو الذى ينتصر ، وإرادةُ الشعوبِ تهزم الحديد والنار .. والشعب انتصر دائماً فى كل مكان . والانتصارُ الحقيقىُ الذى حققته الشعوبُ العربية ضدَّ العدوانِ وضد التهديدِ وضد الضغطِ الأجنبى ، كان له معنى كبير ، هو أن الأسباب التى كنا نعتبرها أسبابَ ضعفٍ ، أصبحت أسبابَ قوة لنا نستخدمها من أجلِ مصلحتِنا .

وهكذا استطاعتْ الأمةُ العربيةُ أن تعطىَ للعالم المثل ، أن

لا قوةَ على سطحِ الأرض تستطيع أن تفرّق بين أبناءِ الوطنِ الواحد ، أو تفرّق بين الشعبِ العربى والشعب العربى ، بل لا خلافَ على سطحِ الأرض يستعصى حلّه على أبناء شعبٍ عربى مع شعبٍ عربى .

واتحادنا فى هذه المعركةِ كان أقوى من ٢٠ قنبلةً ذرية .

وقد روى كتابُ أسرارِ الحملة ، أن الذين هاجمونا فى شجاعة ، قد أصابهم الذعر والفزع ، لأن الحربَ الذريةَ أصبحت على الأبواب ، فبعد أيام من الهجوم الإسرائيلى قدّم السوفييت مذكرتهم التى ذكروا فيها أنهم سيقومون فى الجزائر بحربٍ ذرية خاطفة مالم تسحب كلٌّ من بريطانيا وفرنسا قواتها من منطقة قناة السويس ..

إن الأمر لم يعدْ مجردَ عدوانٍ على مصر ، بل الأمر يعنى العالمَ بأجمعِه .. وقبل البريطانيون وقفَ إطلاقِ النار ، وانسحبتْ القواتُ البريطانية والفرنسية بلا قيدٍ ولا شرط لكن .. مَنْ المسئولُ اليومَ عن تهديدِ العالمَ بالدمار ؟

المسئول هم الطامعون .. هم المستعمرون ، تجارُ الحروبِ الذين يريدون استعبادَ الشعوب ..

المسئول عن التهديد بالحرب التى قد تُفنى الإنسانية كلها ،

همُ المعتدون الذين جاءوا إلى أراضينا ، واعتدَوْا على أرضِنا وعلى رجالِنا..وكان الواضحُ للجميعِ أنهم يهدفون إلى السيطرةِ والتحكمِ والاستعمار ، والعالم اليوم عالمٌ مُتصل يحس بكل ما يحدث فى أى مكانٍ فيه .. ولذا هبَّ الرأى العام العالمى الحر ، فى كل بلد حر يؤيدنا .. يؤيد مصر وينادى ضد العدوان ..

لا ننسى أننا حينما تعرضنا للعدوان هبتْ الشعوبُ فى آسيا وافريقيا ، وهبَّ الأحرار فى العالم من أجل مساندتنا ضد العدوان ومن أجل الحصول على حقنا . .

وهبتْ جموعٌ من الشعوب ، وقامت أصواتٌ حرة ضد العدوان حتى فى البلاد التى قامت بالعدوان .. انقسمت الشعوب عليهم لأنها شهدت وعرفت مبادئنا ..

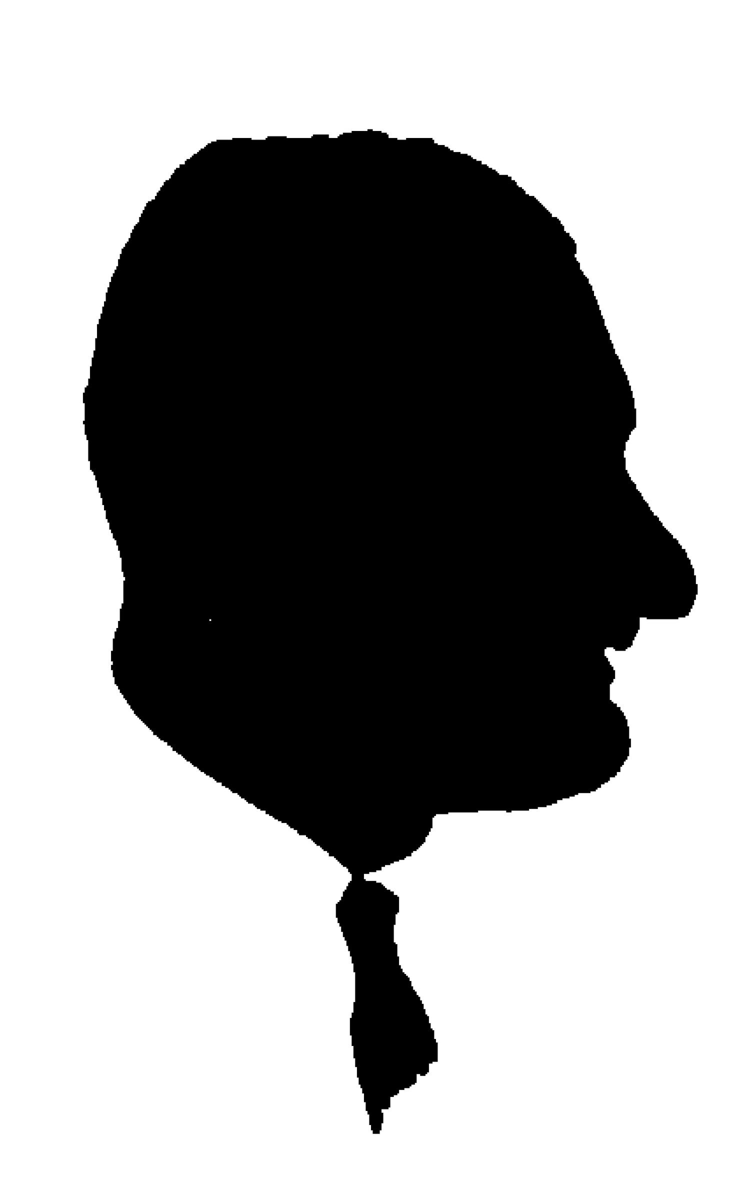
والشعوبُ اليومُ تفهم معنى السلامِ ومعنى الحرب ، وتريد أن تعيشَ فى حياة يسودها السلام .

واستطاعت قوةُ الشعب وتصميمُ الشعب ، مع قوى الشعوب التى هبّتْ ومع تأييد الشعوبِ العربية ، وتأييدِ الاتحاد السوفيتى ، وقوى باندونج ، قوى آسيا وأفريقيا ، استطاعت هذه القوة ، أن تهزم الجنود المعتدين وأن تردّهم على أعقابهم

مرةً أخرى ..

انتصرنا لأن الشعب جميعه كان تحت السلاح .. قاتل بشرفٍ من أجل مصر ومن أجل تثبيت الاستقلال ..

واستطعنا أن ننتصرَ بفضلِ المساعدةِ المعنوية للشعوب ، وبفضلِ الرأيِ العامِ العالمى .. ورأيُ الشعوبِ له تأثيرٌ يساوى تأثير القنابل الذرية .



ليحمل الاستعمار عصاه على كتفه .. ويرحل

نجحتْ الدولُ الاستعماريةُ فى أن تحتلَّ بورسعيد.. لكن هل كان احتلالُ بورسعيد نصراً لانجلترا وفرنسا والدول العظمى ؟

قاموا بالعدوانِ علينا .. فانتصرنا .. واستطعنا أن نحطِّمَ العدوان ، فالعدوانُ لا ينتصر، بل هُزم العدوانُ فى بلادنا ، كما هُزم العدوان فى كل بلدٍ من بلادِ العالم .. هُزمت الدول الكبرى والأساطيل والطائرات والمؤامرات . . وكان لنا الشرفُ أن نهزمَ بريطانيا وفرنسا بعد أن هزمنا كلا منهما على انفرادٍ من قبل . وفى يوم ٦ نوفمبر انتهى العدوان على مصر بخيبةٍ كبرى وهزيمةٍ سياسيةٍ عظمى لدول الاستعمار. هزيمة للوسائل التى كانت تتبع فى القرن التاسع عشر ، وهزيمة

للتآمر .. الذين تآمروا علينا فى سنة ١٩٥٦ سقطوا واحداً وراء الآخر .. راح « إيدن » .. وراح « جى موليه » ..

انجلترا طلعتْ من العدوان بأزمةٍ مالية مريرةٍ .. وباعت الأسطولَ البريطانى بعد الحربِ والعدوانِ على السويس ..

ومصرُ طلعتْ من العدوان أكبر مما كانت .. وأثبت الشعبُ أنه يستطيع أن يحوّلَ دولا كبرى إلى دولٍ من الدرجة الثانية ودولٍ من الدرجة الثالثة .. المعركة كانت نتيجتها أن الأمةَ اكتشفت نفسها ، وعادت إليها ثقتها بنفسها .. فكم من دولةٍ غزتْ مصر ، ثم ذهبتْ وبقيتْ مصرُ محافظةً على شخصيتها وروحها وقوميتها ووحدتها ، رغم أنف الطغاة المستبدين ، ورغم الاحتلال ..

إن مصرَ عاشت آلاف السنين وانتهت الامبراطوريات ، انتهى الغزاة ، وكانت مصر دائماً مقبرةً للغزاة .. فليحملْ الاستعمار عصاه على كتفه ويرحل ، أو يقاتل حتى الموت دفاعاً عن بقائه .

* * *

وفى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ انسحبت القواتُ المعتديةُ .. خرجنا بعد العدوان وقد ضحّى البعض منا بدمائهم . .

ضحينا بالدماء وبالأرواح وبالأموال وبالأبناء ، ولكن خرجنا رغمَ هذه التضحيات ونحن أشدُّ قوة .. هذا نصرٌ حلوٌ ..

بعد جلاءِ الإنجليز عن مصرَ مرتين فى سنة واحدة ، نشعرُ جميعاً بالاستقلالِ الكامل ، الاستقلالِ الحقيقى .. الاستقلالُ الحقيقىُ معناه أن تكون حراً فى بلدك .. أن تحسَّ أنك فى بلدك .. بلدِك وحدَك .. تمشى فيه وتشعر بعزتك وكرامتك .. ونحن اليوم ... كلٌّ واحد منا يستطيع أن يجلس وحده ويفكر وحده ويخرج بنتيجة ..

نحن بلد مستقلٌ .. والاستقلال الحقيقىُ ليس بالأمرِ السهلِ .. نحن بلدٌ مستقلٌ .. لأنه ليس فى بلادنا جيوشٌ أجنبية .. ليس هناك قواعدُ أجنبية فى بلادنا .. لا أحلافَ عسكرية تربطنا بأيةِ دولة أجنبية .. لا نفوذَ لأيةِ دولةٍ أجنبيةٍ أو سيطرةَ لأجنبىٍّ لكى يُملىَ إرادتَه أو يغيرَ وزارة أو يُسقطَ وزارة .. لا نفوذَ إلا للشعب ..

هذا الشعورُ هو الذى كنا ننادى به أيامَ الطفولة دون أن نعرفه .. فى عهد الاحتلال لم نتمتعْ بالحرية .. كنا ننادى بهذه الألفاظ ولم نكن نعرفها .. أما اليوم فأنا أتكلمُ كرجل حرٍّ فى شعبٍ حرٍّ تخلص من الاحتلالِ والاستعبادِ والذل .

إننا كما حققنا هذا الاستقلالَ وهذه الحرية بدمائنا ، فإننا سنحرس هذه الحريةَ أيضاً بدمائنا ، بعرقنا ودموعنا وأرواحِ شهدائنا وجماجِمهم ..

نستطيع أن نحمىَ هذا البلد ، ونعلنَ أن مصر كلَّها جبهةٌ واحدةٌ ، وسنقاتل دائماً لآخر قطرةٍ من دمائنا فى سبيلِ بناءِ بلدنا .. إننا نقاوم ومعنا العالمُ أجمعُ ضد مجرمى الحرب وضد تجار الحروب ..

ولقد علمتنى تجربةُ هذه الشهور دروساً كثيرة فى أكثرَ من طريق .. ورغم أن هذه الأحداثَ قد أحزنتنى ، إلا أنها زادتنى عبرةً ، وذلك لسببٍ واحد ، هو أننى كنت أثق بنيّات الزعماءِ والساسةِ الغربيين ، وكنت أعتقد أن هناك بعض الأمانة والأخلاقِ فى محيط السياسة والدبلوماسية الدولية ، ولكنَّ الطريق التى سلكتها بريطانيا بالنسبة لأزمةِ السويس ، كما يسمُّونها ، والطريقةَ التى اتبعها الغزوُ الغادرُ لمصرَ البريئةِ المسالمةِ بواسطة القواتِ الاستعماريةِ الصهيونية بعد أن أكدوا لنا وللعالم كلّه ، أنهم لن يلجأوا إلى الحرب ، والبدء بإطلاق الأكاذيب ، والانتهاء بإطلاق القنابل ... كلُّ هذا أقنعنى بفسادِ ثقتنا فى الغرب ..

لكن بعد الانسحاب من بورسعيد هلْ يئسَ الاستعمار ؟
قطعاً الاستعمار لم ييأس . ولم يسلِّمْ بالهزيمة .. إن المعركةَ لم تنته ِ لأن الاستعمارَ لم يحقّق أهدافه . لن يسلّم ويترك َ نفوذَه فى الشرق الأوسط .. إن الاستعمار الذى أراد أن يضربَ القوميةَ العربية فى بورسعيد لم يتراجع .. ولم يتقهقر .. بل سيحاولِ دائماً بكل الوسائلِ والطرق .. فالهزيمة التى لاقاها الأعداءُ والتى لاقاها العدوان ، لم تكن نهايةَ المعارك، ولكنها كانت تدل على أنها بدايةٌ ومقدمةٌ للمعارك التى نعيشها الآن ، والتى قد تكون أشدَّ عنفاً ، وقسوة .



الحصار.. والتهديد
وحرب الجوع

بعد الانسحابِ من بور سعيد كان هناك شكلٌ آخر من المعارك.. قابلنا معركةً أخرى .. تعرّضنا لحرب الدعايةِ وحربِ الأعصاب ولحربٍ اقتصادية فالاستعمار الذى لم ينجحْ فى الحرب المباشرةِ ، سيحاربنا حرباً غيرَ مباشرة ..

كنا ندركُ حاجتنا إلى الوقتِ لكى نبنىَ بلادنا ولكن الاستعمار كان يرى غيرَ ما نراه .. كان همُّه ألا يتركَ لنا وقتاً .. هكذا كانتْ خطتُه .. وأخذ الاستعمارُ يتحرّش بنا .. وبدأت سلسلةٌ من المناورات ..

لقد كانت سياسةُ الغربِ هى تجويعنا ، وذلك بعد فشلِ العدوانِ المسلحِ علينا ، فقد جمدت بريطانيا والولايات المتحدة أموالنا فى بنوكِ بريطانيا وأمريكا .

تعرضْنا للحربِ الاقتصادية بعدأن فشلتحربُ الأساطيلِ والطائرات .. كنا فى حاجةٍ إلى شراء القمحِ بعد أن نفدَ مخزونُنا منه بعدظروف العدوان ، ورفضت أمريكا أن تبيعَه لنا رغم الفائضِ الكبيرِ لديْها حتى إنهم لا يعرفون كيف يتخلصون منه ، وبرغم أن أموالنا مجمدةٌ فى بنوكِ أمريكا ..

رفضتْ أمريكا أن تبيعَنا القمحَ وكان الهدفُ من ذلك أن تحدث مجاعةٌ ، وتتحكمَ فينا وبهذا تحقق بالوسائل السلمية ، الأهدافَ التى كانتْ تسعَى إليها بريطانيا وفرنسا بالحربِ ..

إنَّ القطنَ هو محصُولنا الرئيسيُّ ، ولابد لنا أن نبيعَه .. ورفضَ الغربُ شراءه .. وعرضتْ روسيا علينا أن تشتَرىَ قطناً منا .. لقدكانَ يجبُ أن نبيعَهُ .. ولقد بعْناهُ شاكرينَ للذى اشتَراهُ .. إنه ساعدَنا فى التخلُّص من الحصارِ المفروض علينا ..

كانت الدولُ الاستعماريةُ تعتقد أننا سنموتُ من الجوع ..

وكانت الدولُ التى حاربتنا تعتقدُ أننا لن نستطيعَ أن نجدَ الأموالَ التى نشترى بها القمحَ حتى نصنعَ منه الخبزَ ونأكل .. وهى تعرفُ أن القمحَ الذى نريدُه يكلفُنا ٢٠ مليون جنيه ، وهى تعرفُ أننا من غيرِ نقدٍ أجنبى ، فأموالنا مجمَّدةٌ فى بنوك هذه الدول . وساعدَنا الاتحادُ السوفيتى ، عرضت

علينا روسيا ما أردْنا ..

واستطعنا أن نكسبَ معركةَ التجويع .. لم نمتْ منَ الجوعِ ..

واستطعنَا أن نعيشَ ..

وامتنعتْ أمريكا عن بيعِ الأدويةِ حينَ طلبناذلكَ بإلحاحٍ .. هذه الأعمالُ عدائيةٌ من جانبهم .. من ناحيتهم ..

وبالرغم منْ هذا تمكنا من تجاوزجميعِ هذه العقباتِ .. لم يؤثّر هذا العملُ فينا أوفى أهدافنا .. ربما شعرنا بالضيّق وببعضِ المضايقاتِ ، لكن رغمَ هذا تمكّنا من تخطى جميعِ هذه العقباتِ ، واستطعنا أن نحقّق احتياجاتنَا وأن نعتمدَ على أنفسنا ..

الحصارُ الغربيُّ كانَ فى الواقعِ نعمةٌ لنا ، فقدْ كانَ مصدرَ قوةِ اقتصاديةٍ بدلاً من أن يكونَ مصدرَ ضعف . لقد جعلنا نعتمد على منتجاتنا وسلعنا الاستهلاكيةِ ، وفى نفسِ الوقتِ استطعنا أن نأتىَ بحاجاتنا الضروريةِ رغم الحصار ..

كنا بلداً يعتمد اعتماداً كلياً على الزراعة .. بلداً يعتمد كلياً على الاستيرادِ من الخارجِ . كنا نستوردُ المسمارَ من الخارجِ والإبرةَ وبكرةَ الخيطِ .. لم تكنْ هناكَ بضاعةٌ لانستوردُها

من انجلترا أو من أمريكا .. واليوم نستطيعُ أن نرَى كلَّ هذه البضائعِ ونستطيع أن نصنعها .. نصنعها فى بلدِنا ..

إنها نقطةُ تحولٍ فعلاً فى تاريخِ بلدنا يجبُ أن يشعرَ من أجلها كل فردٍ من جيلنا بالفخر ..

وانتصرنا فى معركةِ الضغطِ الاقتصادىِّ .. استطعنا أن ننجوَ من هذا الضغطِ ومن هذا الحصارِ بعد أن تكاتفتْ علينا جميعُ الدولِ الكبرى وغير الكبرى أيضاً . التى تمشى فى ذيلها وفى ركابِها .. ولم نمتْ من الجوعِ الذى أرادوا أن يفرضوهُ علينا ..

إننا نريدُ الاستقلالَ لبلدِنا .. هذه هى سياستُنا وهى معروفةٌ واضحةٌ وضوحَ النهارِ وليسَ فيها التواءٌ .. لكن ، المشكلة ، أن أعداءَنا لايريدُونَ لنا أن نسيرَ نحو تحقيقِ أهدافنا فى سلام . ونحن شعبٌ محبٌّ للسلامِ .. ولكننا لانقرُّ سياسةَ الضغطِ والتهديدِ ولنْ نخضعَ لها .. ولانستطيعُ أن نفرِّط فى سيادتِنا أو فى كرامتنا الوطنيةِ . ولنْ نضحىَ بحريتنا واستقلالنا لأى سببٍ من الأسبابِ .. وإذاكان التهديدُ هو حربُ أعصابٍ فإن أعصابنا شديدةٌ ، متينةٌ ، قوية ، وأعصابنا أبردَ مماكانتْ . إن الشعبَ العربىَّ سيقاومُ الاحتلالَ فى كل بلدٍ وفى كلِّ مكان



أحمد سوكارنو

بطل كافح ضد الاستعمار

ولن يُرهبنا التهديدُ ولن تُرهبنا الأساطيلُ أو القنابلُ الذرية ..
هذا الشعبُ لا يخافُ .. والتهديدُ لا يزيدُه إلا تصميماً وعناداً
وإن الخطر ليضاعفُ حيويتَه ..

لقد قاوَم الشعبُ دائماً الاحتلالَ ، وانتصرَ الشعبُ ..
قاومهُ فى آسيا وفى أفريقيا بل قاومَهُ فى أمريكا نفسِها ، لأنَّ
أمريكا حاربتْ بريطانيا وانتصرتْ واستقلت .. إن أمريكا
قامتْ بثورةٍ فى ٤ من يوليه .

فى شهرِ يوليه أيضاً ، شهرِ الثوراتِ والانتصاراتِ ..
أمريكا قامتْ بثورةٍ لتحصُلَ على استقلالِها ولتقضىَ على
الاستعمارِ ولتبنىَ الولاياتِ المتحدةَ الأمريكيةَ المستقلة ،
قامت بثورةٍ من أجلِ التخلصِ من الاستعمارِ البريطانىِّ ومن
أجلِ رفعِ مستوى المعيشةِ بينَ أرجاءِ الولاياتِ المتحدةِ
الأمريكية .. أمريكا قامتْ بهذهِ الثورةِ وانتصرتْ . حاربوا
الاستعمارَ كما حاربنا الاستعمارَ ليحصلوا على الاستقلالِ
ويرفعوا من شأنِ بلادِهم .. ثاروا على بريطانيا وتخلَّصوا
من الاستعمارِ البريطانىِّ ورفعُوا مستوَى الولاياتِ المتحدةِ ..
وثرنا نحنُ على الاستعمارِ وحاربناهُ لنتخلص من الاحتلالِ
ولنرفعَ مستوَى شعوبنا التى عانتْ كثيراً من الاستغلالِ
والسيطرة . كيف ينكرُونَ علينا حقَّنا فى أنْ نرفعَ مستوانا

كما رفعُوا مستوَاهـُم ؟

كان قبولُ شعبِنا لتحدِّى بناءِ السدِّ العالىِ أمراً ليسَ سهلاً أو هيناً فى وجهِ صلافةِ أمريكية أرادتْ عندما سحبت عرضاً بالمساهمةِ فى تمويلِ السدِّ العالىِ أن تسيءَ إلى الاقتصادِ المصرىِّ وأن تصورَ هذا الشعبَ وكأنه مفلسٌ غيرُ قادرٍ على تحمُّل مسئولية مِثل هذا البناءِ ، بل أرادتْ بهذه الصلافةِ أن تصلَ إلى حدِّ تضييعِ ثقة الشعبِ بنفسهِ وإسقاطِ نظامِه الثورىِّ ..

حاولنا أن نجعلَ أمريكا تقفُ بجانبِ العربِ ، ولكنَّ « ترومان » ، بعد ١٥ من مايو سنة ١٩٤٨ ، بعد دقيقةٍ واحدةٍ اعترف بإسرائيلَ وما حاولَ أبداً أن يهتم بعربىٍّ من العربِ .. ومنذ هذا التاريخِ وسياسةُ أمريكا لم تتغيرْ أبداً .. السياسةُ فى أمريكا هى إقامةُ إسرائيلَ وتأييدُ إسرائيلَ ومساعدةُ إسرائيلَ ..

وأمريكا عضوٌ فى لجنةٍ من أجلِ حقوقِ شعب فلسطين وعودةِ شعبِ فلسطين إلى بلادِه .. وهذه اللجنةُ تألفتْ سنة ١٩٤٨ ، وموجودةٌ حتى الآنَ ، فهل يستطيعُ وزيرُ خارجيةِ أمريكا أن يقول لنا ما الذى عمله بهذا الخصوص ؟ .. ما الذى تمّ من أجل حقوقِ شعبِ فلسطينَ وعودةِ شعبِ فلسطين إلى بلدِه ؟

كان واضحاً أمامنا منذ شهر يناير ١٩٥٧ أن السياسة الأمريكيةَ اتجهتْ إلى عمليةِ عزلِ مصرَ عن العالم العربيِّ حين أعلنَ مشروعُ « أيزنهاور » عزلَ مصرَ وراء حاجزِ الصحراءِ فى سيناءَ عن الشرقِ العربى كلّه ليمنعوا اتصالها به، وليسهلَ على إسرائيلَ أن تواجه جبهاتٍ عربيةً ممزقةً .. ولأن وجودَ مصر ضعيفةٍ ، ضعفٌ للنضالِ العربيِّ كلّه .. هكذا يقول التاريخُ والطبيعةُ .. ولكن تأكيدَ الذاتِ العربيةِ لمصرَ وجهَ ضربةً قويةً ضدَّ خطط الاستعمار ..

وبدأ مشروع « أيزنهاور » بحجة الفراغِ فى الشرقِ الأوسطِ ، ولو فرضنا أن الفراغَ قائمٌ لكان من المحتمِ أن تملأهُ القوميةُ العربيةُ .. إننا سنملأُ هذا الفراغَ .. بل لقدْ ملأناهُ بالفعلِ ..

والمشروعُ ينصُّ على ضرورةِ الارتباط بسياسةِ الولايات المتحدة . ولقدْ أعلنتْ مصرُ سياستها . وهى سياسةُ عدمِ الانحيازِ لأى معسكرٍ من المعسكراتِ وعدم قبولِ أىِّ معونةٍ مشروطةٍ .. ولم أرَ معونةً أمريكيةً متجهةً إلى التصنيعِ ، فكل المعونات الامريكية متجهةٌ إلى الاستغلالِ .. ونحن لانخدعُ

كشعب .. والمبادىءُ لا بدَّ أن ترتكزَ على الشعب وحده .

وحاول المشروعُ إبعادَ العربِ عن أهدافهِم ، وأن يُلقِيَ مسئوليةَ الدفاعِ عنْ أرضِ العربِ على غيرِ العربِ .. على أمريكا .. ولكن، هل قبلَ العربُ أن تتحمل مسئوليةَ الدفاعِ عنهم دولةٌ أخرى ؟

الشعوبُ العربيةُ اليومَ ترى فى نفسِها القدرةَ على أن تتحملَ ... وفشلَ فعلاً مشروع «أيزنهاور» فشلا ذريعاً ..

كيف تنسى أمريكا تاريخها وتقومُ بهذا الدور الاستعمارىّ؟

لقد كنتُ أنتظرُ منهم أن يتكلمُوا بمنطق العقلِ ، لا بمنطقِ الاستعمارِ ولكن ماسمعتُه منهم كان منطقَ القوةِ العسكريةِ تحت حججٍ زائفةٍ وأسبابٍ واهيةٍ ..

إن أمريكا حين تعلن غضبها علينا اليوم ، إنما تتنكرُ لواقعِ الأمرِ فى الشرق الأوسط . وتنسىَ أيضاً تاريخها وثورتها ، وتنسى أيضاً منطقها والمبادىءَ التى نادتْ بها ..

ونسألُ أمريكا .. نسألُ هؤلاءِ الناس : لماذا تعلنونَ غضبَكُمْ علينا ؟

إننا نريدكُم أن تسمعُوا منطقَ الأحرارِ .. عليكم فقطْ

أن تفهموا منطقَ الأحرارِ وأن تتناسُوا منطقَ الاستعمارِ .. إن الأحرارَ منطقُهم مبنيٌّ على الشرفِ فهمْ إذا عاهدُوا ، عاهدُوا بشرف ، وإذَا وَعدوا إنما يعدونَ وهمْ يتمسَّكونَ بشرفهِمْ .. وإذا دافعُوا عن بلدهِمْ ، دافعُوا بشَرف.. وَإذا قاتلوا ، إنما يقاتلون . بشرف .. ولقدْ انتهى منطقُ الاستعمارِ ولا يوجدُ غيرُ منطقِ الأحرارِ ..

لكنَّ منطقَ الأحرارِ لايفهمُه أبداً منطقُ الاستعمار ..

الأحرار.. والأيدى الخائنة

اليومَ بدأ عهدُ الأحرارِ .. من همُ الأحرارُ ؟ من هم الأحرار بين الأمةِ العربيةِ ؟

كلُّ مواطنٍ عربيٍّ يمثل الأحرارَ .. إنهم شبابٌ منْ صميمِ هذا الشعبِ العربيِّ ناداهُمْ الضميرُ والشرفُ ليضحُّوا .. هؤلاءُ الأحرارُ الذين آثرُوا الاستشهادَ على أن يعيشوا بين أرجاءِ وطنٍ ذليلٍ يسيطرُ عليه العملاءُ ..

الأحرار مستعدونَ دائماً لأقصى التضحياتِ .. مستعدونَ للعملِ وللموتِ فى سبيلِ حريةِ بلدهمْ واستقلالِ وطنهم .. لم يفكرْ شخصٌ منهم فى مصيرِه أو عائلتهِ أو أولاده ، ولكن كل فرد منهم كان يفكرُ فى وطنهِ وفى شرفهِ وفى حريتهِ وفى استقلالِه ..

هذا هو منطقُ الأحرارِ الشرفاء ، والجمهوريةُ العربيةُ المتحدةُ تحمَّلت مسئوليةَ معاونة الأحرارِ في كل بلدٍ عربيٍّ ضد الاستعمارِ أو ضد أعوانِ الاستعمارِ ..

وأثبتت التجربةُ أن لامستقبلَ للعملاءِ .. ولن يكونَ لهم مكانٌ بيننا ، فقدْ فشلُوا في الماضي وسيفشلونَ في المستقبلِ..

ولكن ...

إنَّ أيدى الاستعمارِ ما زالت تبحثُ عن الأيدِي الخائنةِ.. فليكن كلٌّ منكم على حذرٍ .. ابحثوا عن هذه الأيدى الخائنةِ واقطعوها دفاعاً عن حريتكمْ وكرامتكم ومصيرِ أبنائكمْ وأحفادِكم .. إنهم يعيشُونَ على حسابِ الشعبِ ولا يرتوُونَ إلا إذا امتصُّوا دماءَه ونهبوا رزقَه ..فحاربوهم وقاتلوهمْ.. إن مصرَ التى ظلت ترزحُ تحت أقدامِ المستعمرِ أكثرَ من ٧٠ عاماً تنتظرُ من كلِّ مواطنٍ أنْ يؤدِّيَ واجبَه ويحميَ شرفَه..

كنَّا قبلَ اليوم ، يحكمنَا الاستعمارُ وأعوانُ الاستعمارِ وكانوا همُ الذينَ يقررونَ أسماءَ الدولِ في هذه المنطقة ..

•

وإذا ما قلبْنَا صفحاتِ التاريخِ ثانيةً ، ولوحاولنَا أنْ نتساءلَ كيفَ تمكنَ الاستعمارُ منا ، لوجدْنا الحقيقةَ المؤلمةَ

تبرزُ أمامنا ، أننا نحنُ الذينَ مكنّا الاستعمارَ منا .
فالاستعمارُ له أشكالٌ متعددة . والشكلُ القديمُ للاستعمارِ يكون احتلالاً مسلحاً بجنود وبقوّاتٍ مسلحة .. ولكن الاستعمارَ يتطور معَ الزمن ، والشكلُ الجديدُ للاستعمار.. الذى نحس به الآن .. أنه يحاول أن يحكمَ بواسطةِ عملائِه الذين يستخدمُهم ليتسلطُوا على الشعبِ وليكبتوا حركاتِ التحررِ . فالاستعمارُ لا يمكنُ أن يسيطرَ على بلدٍ منَ البلادِ إلا إذا اعتمدَ على أعوانِ الاستعمار ..

الاستعمار الجديدُ لايحكمُ بطريقٍ مباشرٍ كما كانَ يحكم قديماً بالمندوبِ السامى أو بالمعتَمدِ البريطانىّ أو بالجيشِ أو بالقوةِ ، فالاستعمارُ يعلمُ أن السلاحَ والبطشَ والقوةَ لاتجدى شيئاً أمام إرادةِ شعبٍ حريصٍ على حرّيته وعزتهِ .. لذلكَ فهو يعتمدُ على أعوانه ليكونوا هم السلاح والعصا التى تكافحُ الأحرارَ وتُسكت المجاهدينَ .. يعتمد على الخونةِ والمنافقين من أبناءِ البلادِ ، وكلٌّ من يكونُ فى خدمةِ الاستعمارِ يعتبرُ خائناً لبلدهِ ولقضيتهِ وخائناً لعروبتِه..

إنّ سلاحَ الاستعمار اليومَ هم أعوانُ الاستعمارِ .. هؤلاء الناس المستعدونَ لبيعِ بلادهم بثمنٍ بخسٍ. هؤلاءُ الأعوانُ الذينَ باعُوا بلدَهُم للشيطانِ لقاءَ دراهمَ معدوداتٍ..وباعُوا

الشرفَ والأمانةَ وأرضَ الوطنِ وتنكرُوا لأرضهمْ وماثهم وسمائهم والذين َمكنُوا للاستعمار أن يجعل بلادَهم أمةً من الرقيقِ ..

هؤلاء هم الذينَ باعُوا أنفسَهُم للمستعمرينَ وأصبَحُوا عبيداً لهم لقاءَ الجاهِ والسلطان ..

إن أعوانَ الاستعمارِ الذينَ باعُوا أنفسهم للاستعمارِ وباعُوا ذمتهم وضمائرَهُم لا يمكنُ أن يستعيدُوها ، فقد فقدُوا الضمائرَ .. باعُوها بثمنٍ بخسٍ .. بثمن رخيصٍ ..

ولا يمكن لأعوانِ الاستعمارِ أن يُحسُّوا بمتاعبِ الشعوبِ.. لأنهم همُ الذينَ يمتصون دماءَ شعوبِهمْ..ولا يمكنُ لهؤلاءِ الذينَ تنكروا لضمائرِهمْ ولشعوبِهمْ أن يشعرُوا بما يشعرُ بهِ الشعبُ وأن يُحسُّوا بما يحسُّ به الشعبُ.. فالشعبُ كشعبٍ، لا يحس بالطمعِ ولايشعرُ بالغيرةِ وبالحسدِ..الشعبُ يختلف عن الأفرادِ الذين ملأتهمُ الأطماعُ .. ومنطقُ الشعوبِ لا يقومُ على المالِ ولا الجواهرِ ولا النفوذِ ولا الثرواتِ.. ولكن منطقَ أعوانِ الاستعمارِ يحسبون حسابَه بالمال .. بالجواهر التى يخزنونها وبالمكاسب المادية التى يأخذونها ..

وأعوان الاستعمار لا يتآمرون فقط ضد شعوبهم وضد بلادِهم ولكنهم يبيعون أنفسهم ضدَّ الأحرارِ العرب فى بلاد العربِ الحرة ..

والشعبُ العربىُّ فى كل بلدٍ عربى يعرفُ من هم أعوانُ الاستعمار ، جميعُ الناسِ يعرفونَ من هم أعوان الاستعمار.. وإذا سألت أىَّ فردٍ فى الشارعِ فى أى بلد عربىّ منْ هم أعوانُ الاستعمار فى جميع البلاد العربية «يكرُّهم» واحداً وراء واحد من الشرق إلى الغرب .

والاستعمارُ قاتلَ حتى الموتِ دفاعاً عن وجودِه .. والاستعمارُ يقاتلُ مرةً أخرى – حتى موت آخر – معتمداً على أعوانه ، وهمْ لا يزالونَ يحاولونَ أن يفرضُوا مشيئةَ الاستعمارِ وأن يتبعُوا سبلَ الخيانة ..

وهؤلاء الخونةُ إذا استطاعوا أن يعمروا أياماً أو شهوراً ، فلنْ يستطيعوا أنْ يعمروا إلى الأبدِ .. قد يستطيعون أن يعمروا بعضَ الوقتِ ، ولكنْ لا يكونُ لهمْ الدوامُ مطلقاً ، بل الدوام للشعوبِ دائماً ..

هؤلاءِ الخونةُ العربُ لهمْ يومٌ قريبٌ .. ويومُ حسابِ شعوبهم لهُم قريب ، فالشعوبُ هى التى تعطى كلَّ واحدٍ جزاءَه الذى يستحقُّه .

•

والشعبُ العربىُّ فى كلِّ بلدٍ عربى على حذرٍ ،وسيذهب الخونة ، وسينتهى الخونةُ وسيبقى الشعبُ العربىُّ لينتصرَ

ويفرضَ إرادتَه ويقيمَ بين ربوعِ هذه المنطقةِ ، الحريةَ الحقيقيةَ والاستقلالَ الحقيقيَّ والتضامنَ والوحدةَ العربية .

لابدَّ لكلِّ مواطنٍ فى كل بلدٍ عربىٍّ أن يعرفَ التاريخَ ويعرفَ الحقيقةَ ، ويعرفَ نيّاتِ الاستعمار ونيّاتِ أعوان الاستعمار ..

●

سارت الثورةُ لتحقيقِ الأهدافِ التى أعلنتْها فى أولِ يومٍ ، وكانت هذه الأهدافُ عبارة عن آمالِ وأحلامِ هذا الشعبِ .. أحلامِ من استُشهدوا من أبناءِ الشعبِ ، وآمالِ من كافحُوا من أبناءِ الشعبِ .. آمالِ آبائنا وأجدادنا ..

ولقد كانتْ لهذه الثورةِ حينَ قامتْ ستةُ مبادىء مشهورةٍ أولها القضاءُ على الاستعمارِ وأعوانِه من الخونة .

وسارت الثورةُ لتحاربَ الاستعمارَ ، ولكنها اصطدمت بأعوانِ الاستعمارِ ، وتبينتْ أن أعوانَ الاستعمارِ خطرٌ على هذا البلدِ وعلى هذا الشعب ... خطر بل أشد خطراً من الاستعمار ، فإن الاستعمارَ لا يمكنُ أن يثبِّتَ أقدامَه إلا مستنداً على أعوانه من أبناءِ هذا الوطنِ .

وكان من المستحيلِ علينا أن نقضىَ على الاستعمارِ إلاّ إذا بدأنا بالقضاءِ على أعوانِ الاستعمارِ ..نقتلِعُهم من جذورهم.



وبدأت مناوارات طويلة ضد مصر ..

وبدءوا يبحثون عن مصريين يتعاملون ويتعاونون معهم لإقامة حكم فى مصر يخضع للاستعمار. بدءوا يبحثون عن المصريين الموجودين خارج مصر .. يبحثون عن زبائنهم الذين كانوا يتعاملون معهم قبل الثورة .. وكان هؤلاء الناس فى بيروت فى هذا الوقت ، الشخص الأول كان وزير الداخلية أيام «فاروق» وهو «مرتضى المراغى» ، والشخص الثانى واحد من عائلة «فاروق» وهو «حسين رمزى» .

وكان أول هدف لهم أن يبحثوا عن ضعاف النفوس من الانتهازيين من أعوان الاستعمار ، واستخدم الاستعمار أسلحة متعددة ، كل واحد منا يستطيع معرفتها : المال ، الترغيب ، دفع فلوس لعناصر معينة رجعية أو خائنة لكى

تقاومَ العناصرُ والحكوماتِ الوطنيةَ ..وشراء الذمم من أجلِ تحقيقِ أهدافِ الاستعمارِ ، وإسناد عملاءِ الاستعمارِ وإعطاءهم القوةَ والنفوذَ حتى يستطيعُوا أن يأخذُوا الحكمَ في يوم من الأيامِ لأنهم إذا أخذُوا الحكمَ ، كان الاستعمارُ هوَ الذى يحكمُ بالفعلِ - يحكم بهمْ بطريقةٍ غير مباشرةٍ .

وبدأت الطعناتُ من بعضِ كبارِ الناسِ أو كبارِ المقام- كما يسمُّونهم -وهذه الطعناتُ وهذا الغدرُ لن يكونَ عاملاً مؤثراً ، ولكنه عاملٌ معطل .

وأثبتتِ التجربةُ أن هؤلاءِ العملاء لا يستطيعونَ الحياةَ إلا فى ظلِّ مدافعِ الاستعمارِ .. ومدافعُ الاستعمارِ عجزت فى أوقاتٍ كثيرةٍ عن أن تحمى نفسَها .. ومدافعُ الاستعمارِ لم تعدْ أقوى المدافعِ فى الدنيا .. كما كانت فى الماضى .

ولكن بعد انتهاء العدوان الثلاثى . هل تهاوَى الاستعمار؟

طبعاً الذين هُزمتْ جيوشُهم ، وهُزمتْ أساطيلُهم لا يمكن أن يسكتوا ، ولابد أن يحاولوا بوسيلةٍ ثانيةٍ ليحققوا أغراضَهم فالاستعمارُ لم ييأسْ ولم يسلِّم بالهزيمةِ .

وبرغم أنهم لما نزلوا بقواتهم فى بورسعيد ، قابلوا الشعبَ وجهاً لوجه بدونِ خونة وبدونِ أعوان للاستعمارِ . فإنهم لم يقتنعوا بهذا

لم يقتنعوا أبداً ، بل راحوا يبحثون عن أعوانِ الاستعمارِ فى مصرَ ليتآمروا معهمْ وليقضُوا على المبادىء التى نعتنقها. واستطاع الخونةُ من عملاءِ الاستعمارِ أن يتّصلوا بأحدِ الضباط المصريين .. بدأت المحاولاتُ مع ضابطٍ مصرىٍّ فى سلاح الطيران وأعطوْهُ ألفَ جنيه فى أول مرةٍ ، ثم وعدوه بآلافٍ أخرى ، حتى وصلت إلى ١٦٢٫٥ ألف جنيه .. وكانت خطتهم أن يتصلَ بالضباط المصريين داخل مصر ليعملوا لحسابِهم ولحسابِ الدول الاستعمارية وذلك للتخلّصِ من هذه الحكومةِ وإقامة حكومةٍ أخرى تخضعُ للاستعمار وتكونُ من أعوانِ الاستعمارِ .

كانوا يتكلمونَ على أساس أن يستعيدوا المجدَ الماضى ويستعيدوا « العزبة » التى فقدوها فى ٢٣ يولية .

هذا الضابط الذى اتصلوا به وسلموه مبلغ ١٦٢٫٥ ألف جنيه سلّم لنا المبلغ ، سلّمه للحكومة ، وأثبتَ أن فى مصرَ روحاً جديدةً ، ليسَ فيها أحدٌ مستعدٌ أن يبيعَ بلده بأى ثمن...أول دفعة كانت ١٦٢٫٥ ألف جنيه ، لكنها لم تشترِ شاباً عربياً لكى يخونَ بلده .. سلاحُ المال لن ينفع ، فالواحد منا وإن كان لا يملكُ شيئاً يرفضُ المالَ لأن هناكَ شيئاً اسمه

الشرفُ لا يمكن أن يقدرَّ بمال .

ولم يتمكن بريقُ الذهب من شراءِ شابٍ فقيرٍ عمره ٣٣ سنة .. رفض ٢ مليون جنيه ذهباً ..

لقد أرادَ أعوانُ الاستعمار أن يتجهوا إلى الجيش ليضربوا به الشعبَ فاتصلُوا بأحد كبارِ رجال الجيشِ السوريِّ وعرضُوا عليْه أن يدفعُوا له ما يريدُ من أموال ، وقالوا لهُ ، نحن مستعدون لدفع ٢ مليون جنيه أو ٥ ملايين جنيه للجيش ليعمل انقلابا .

بدأت الاتصالاتُ ،وبدأت الوعود بالأموالِ ، وهم كانوا فى عَجلةٍ من أمرهم قبل تثبيتِ الجمهورية ، وقالوا إنهم مستعدونَ أن يدفعوا المليون الثانى والمليون الثالث ولكن يجب أن يتمَّ الأمرُ بسرعة .

إنَّ هذا الضابطَ كان يكتشفُ المؤامراتِ دائماً فراحوا يشترونه بالمال ليخونَ إخوانه ، ومع إخوانه فى الجيش يخون الشعبَ ويعمل انقلاباً لتحقيق أهدافِ الاستعمارِ . . وفى هذه المؤامرةِ بالذاتِ فإن الوثائقَ كاملةٌ لأنهم سلَّموا المبلغَ بالشيكات وليس نقداً ..

واتصل هذا الضابطُ باخوانه بالجيش ، واتصلوا بى ،

فقررنا أن نأخذ هذا المبلغ للأمة العربية .. كانت خطتنا فى هذه المؤامرة أن نؤممها أيضاً كما أممنا المؤامرة التى قامت ضد الشعب العربى فى مصر .

لقد تصوروا أن الشعوب سلع ، تشترى وتباع ، وتصوروا أن جميع الناس يمكن أن تبيع شعوبها وتتصرف فيها .. هناك ناس لا تملك شيئاً لكنها لا تبيع شرفها بأى ثمن وإن بلغ ملايين الجنيهات ..وهناك ناس تملك ملايين الجنيهات ومستعدة لأن تبيع شرفها .

ويكفى أن هناك ناساً لا تشترى بالمال .. ناساً لا تملك أى مال ولكنها تملك الشرف وتملك الكرامة وتؤمن بالشعب .. هناك ناس لا تبيع شعوبها و لا تبيع إخوانها بأى مبلغ مهما عظم .

إن الاستعمار بجميع أشكاله وأنواعه .. القديم والحديث .. الظاهر والخفى .. أصبح مهينا لعصرنا ومسبباً لانفجارات كثيرة وخطيرة ..

وإننا نرى فى أكثر من مكان فى العالم عودة إلى سياسة القوة والأساليب العسكرية .. نرى هذا فى «فيتنام» حين يتعرض شعبها لعدوان أمريكى عسكرى سافر ..

والنضال ضد الاستعمار لم ينته بعد .. النضال والكفاح سيستمران ما استمرت الحياة لأن الحرية غالية وعزيزة .

لآخر قطرة فى دمنا

ومن الطبيعى ألاّ يهدأ الاستعمارُ بل دبَّرَ مؤامرة « يونيه ١٩٦٧ »وكانت مؤامرة «٥يونية» مؤامرةً مرتبة ، ومن أقوالِ زعماءِ إسرائيلَ وقادةِ إسرائيلَ ومذكراتِ إسرائيل المنشورةِ والتى صدرت بعد سنة ١٩٦٧ ، يعترفون أنهم كانوا يريدون هذه المعركةَ قبل أن تدخلَ مصر مرحلة الانطلاق ، قبل أن يتمّ بناءُ السد العالى واستصلاحُ الأراضى ، وقبل أن تتمّ خططُ التصنيعِ وتطوير الصناعة .. وقبل أن تستكملَ مصرُ بناءَ قواتها المسلحة . .

كانت إسرائيلُ تريد المعركةَ قبل أن نتم بناءنا الصناعى والعسكرى وعلى هذا الأساس نستطيعُ أن نقولَ إن الهجوم الإسرائيلى فى ٥ يونيه ، كان مؤامرةً مرتبة .



وهذه المعركة ، فُرضت على الأمة العربية فرضاً ، ولم يكن غريباً أنها جاءت فى هذا التاريخ (سنة ١٩٦٧) وإنما الغريبُ أن هذه المعركة لم تُفرض عليها قبل ذلك ..

والاستعمارُ لم يواجهنا فى هذه المعركة صراحةً كما فعل فى سنة ١٩٥٦ ، وإنما بذل جهداً لابد أن نسلّمَ ببراعتَه فى إخفاء دوره وفى تغطية تآمرِه وتواطئه ، ولعله لم يترك فى النهاية شيئاً أوأثراً يدل عليه غير بصماتِ أصابعه .

إن ٥ يونيه كان صدمةً .. شعوبُ الأمة العربية كلها

اهتزت لهذا التواطؤ والتآمر وهذا العدوان ، ولكن شعوبَ الأمة العربية كلها صممت على رفض الهزيمة .. شعوب الأمة العربية كلها قامت وتظاهرت ، وأظهرت شعورها .. خرجت الجماهيرُ تعلنُ عن تصميمِها على القتال ، وعن رفضها للهزيمةِ ، وعن استعدادِها للتضحيةِ ،وتقديم دمائها وأرواحها فداءً لأرضها وفداءً لوطنها .. فداءً لكرامتها ولشرفها ..

إنْ الأمة العربية لم تستسلمْ ولم تخضعْ.. لم تستطعْ إسرائيل أن تخضع الأمةَ العربية .. ولم تستطع أمريكا .. لأن هذا فوق طاقةِ إسرائيل ، وفوق طاقةِ الولاياتِ المتحدةِ الأمريكية .

ومنذ بداية الأزمة ، كان موقفُ الولاياتِ المتحدةِ ، هو ذاتُه موقف إسرائيل على طولِ الخط .. وبغير تحفظات . بعد ٨ يونيه كان هناك قرارُ الأمم المتحدة فى مجلس الأمن بوقف القتال والانسحاب ، وتقدمت الدول الصديقة ، الدول الآسيوية والأفريقية بهذا القرار ، ولكن اعترضت أمريكا على الجزء الثانى من القرار ، وصممت على أن يكون قرار مجلس الأمن (الذى صدر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧) بإيقاف القتال فقط وأن يشطبَ منه كلُ شيء ينص على انسحابِ القواتِ المعتدية إلى الأماكنِ التى كانت فيها قبلَ العدوانِ .

ومن الواضح أن أمريكا أساءت للأمة العربية كلها بمساعدة إسرائيل : سياسيا واقتصاديا وعسكريا حتى يستمر الاحتلال .. احتلال الأراضى العربية .. وإسرائيل تستعين بالمعدات الالكترونية وتحصل على الأسلحة مجاناً . والولايات المتحدة تتحمل مسئولية كبرى فى الطريق الخطر الذى نتحرك نحوه الآن .

إننا فى وسط معركة بالنسبة لنا حاسمة ، فهذه معركة الأمة العربية ضد العنصرية الصهيونية .. والمعركة عنيفة .. والمعركة طويلة ، فالاستعمار لن يحمل عصاه على كتفه ويرحل من كل الأرض العربية بالاقناع والمنطق ، كذلك فإن إسرائيل لن تنزاح من مكانها فى وسط الأمة العربية رضاً وسلاماً .. وإذا أردتم الخلاص ، فهبوا كما هب أجدادكم من قبل فى وجه الصليبيين . فقد وقف العرب مسلمهم ومسيحيهم ، يدافعون عن حريتهم وكرامتهم ، حتى علت راية العروبة ، بينما هوت أعلام الظالمين .

المعركة تقتضى أمة عربية واحدة ، جبهة عربية تواجه أعداءنا .. المعركة تستدعى تعبئة كل بندقية عربية وكل جنيه عربى ، وكل فرد عربى فالمعركة مع العدو لها الأولوية على كل شىء .

وشعبُنَا المصرى، وأمتنَا العربية ، كلاهما يخوض الآن معركةَ حياته ومستقبله وحريته .. معركةَ حقّه فى التطور..

وشعبُنا المصرى وأمتُنَا العربية ، كلاهما ليس له بديل عن قبول المعركة فى مواجهة قوى شرسة تكره الحياة والمستقبل والاستقلال والحرية ..

إن هناك معركةً واحدةً ، ليس هناك معركةٌ أخرى غيرُها فى العالم العربى ، معركةٌ واحدة تأخذُ كلَّ جهدنا فى الاستعدادِ لها ، فليس هناك وقتٌ لغيرها ، وهى المعركةُ مع العدو .. العدو الذى أسكرته نشوةُ النصر . . وإن المبدأ القائل بأن ما أخذ بالقوةِ لا يستردُّ بغيرِ القوةِ ، مبدأٌ سليمٌ وصحيح فى كل الظروف ..

والقتالُ شرفٌ .. والقتال هدف ، وهناك عدوٌّ يحتلُّ الأرض .. وكل الأطراف بل كل الأفراد فى أمتنا العربية عليهم أن يدركوا أنه ليس أمامنا جميعاً بديل عن القتال من أجلِ الحقِّ الذى نطلبُه ومن أجل السّلام الذى نسعى إليه ..

نحن نريدُ السلام ، ولكن السّلام بعيدٌ .. ونحن لانريد الحربَ ولكنَّ الحربَ من حولنا وسوف نخوضُ المخاطرَ مهما كانت دفاعاً عن الحق والعدل .. حقٌّ وعدلٌ لاسبيلَ

لتحقيقهما غير طرد قوى العدوان من كل شبرٍ من الأرض العربية المحتلة .. من القدس .. من الجولان ، من الضفة الغربية من غزة ، من سيناء ..

وحق وعدل لاسبيلَ لتحقيقهما غير استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الشرعية وخروجه من خيام اللاجئين ليدخلَ مدنه وقراه ومزارعه وبيوته ويعودَ مرةً أخرى إلى قلبِ الحياةِ بعد أن أرغمته الظروف أن يبقى أكثر من عشرين سنة على هامشِ الحياة .. هذه هي قضيةُ شعبنا ، وقضيةُ أمتنا العربية ..

ولا بديلَ لهذه الأمة غير النصر ، لأنّ النصرَ هو بابنا الوحيد إلى كل القيم الغالية .. قيمِ الحياةِ والمستقبلِ والحرية ..

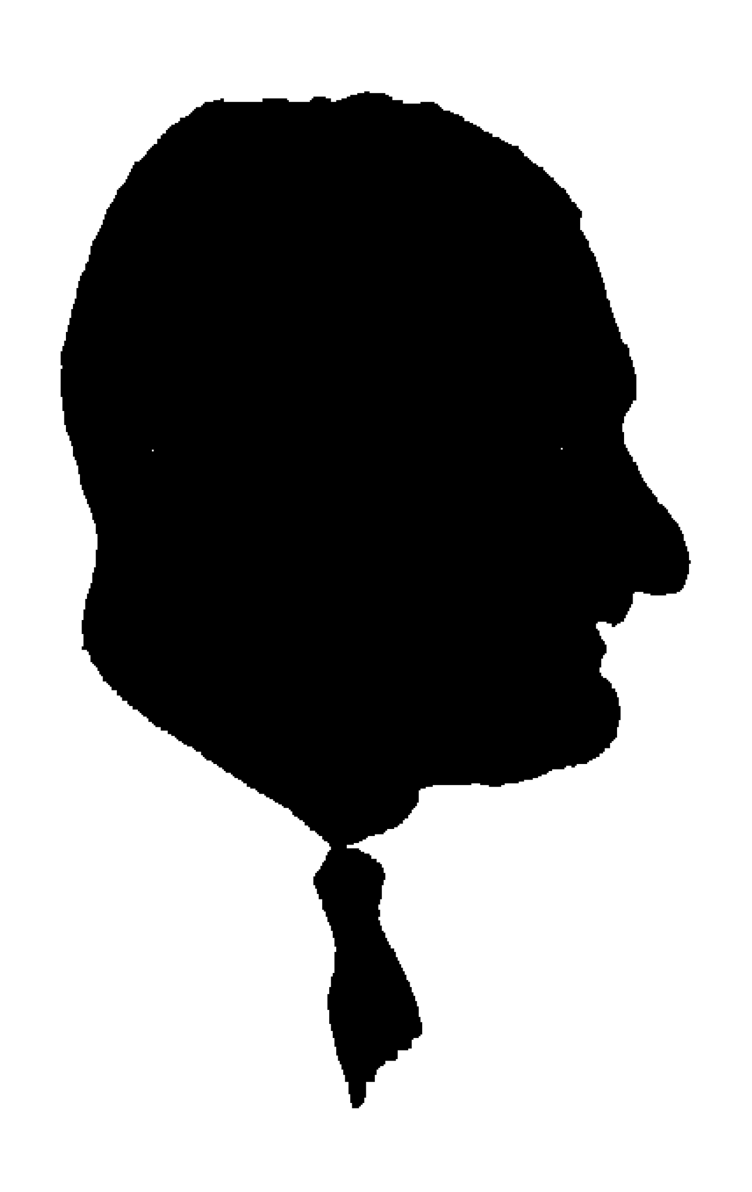
وشعبنا المصريُّ ، وأمتنا العربية ، كلاهما مطالَبٌ بالنصر ، لابديل غير النصر للأمة العربية ، وهي تقدرعليه إذا أحسنت الاستفادةَ من طاقاتها وظروفها ..

طريق النصر مخاطرة ، وطريقُ النصر تضحياتٌ .. وطريق الآمال الكبرى بذلٌ كبير وإلا فإن الشعوبَ تقضي على نفسها بالجمودِ وتقبلُ التخلف . لأنها لا تستطيع أن تتحركَ ولا تقبل بالمخاطرة ، ولا تقبل على الحياة حلوِها ومرِّها .

لقد كان موقفُ شعبنا في ٩ و ١٠ يونيه أكثرَ مما أستحق، وأكثرَ مما يستحقُ أيُّ فرد ولكنه بالنسبة لى ، كان يمثل معانىَ أخرى ؛ معنى استمرارِ النضالِ الشعبي، ومعنى استعدادِ الشعبِ لكل التكاليفِ والتضحياتِ ، ومعنى التصميمِ على المقاومة .

ومن الواضح أن كلّ فردٍ فى أنحاء الجمهوريةِ العربيةِ المتحدةِ سيدافع عن كل شبرٍ من أراضيها لآخر قطرةٍ من دمه ..

كافحُوا واحملوا الرسالةَ والأمانةَ ..



قمنا معًا برحلة طويلة

إن شعبنا صنعَ معجزةً .. وكان يمكن أن يضيع أيُّ مجتمعٍ تعرّضَ لهذه الظروف التى تعرّض لها مجتمعُنا .. وكان يمكن أن تجرفه هذه التياراتُ التى تدفقت عليه .

ولكننا صمدنا للزلزال .. صحيحٌ كنا نفقد التوازن فى بعض الظروف ، ولكن بصفةٍ عامة .. لم نقعْ على الأرضِ .

ومشاكلُنا لاتنتهى بالقضاء على الاستعمارِ والتخلصِ من قواتِ الاحتلال ، فهناك مشاكلنا نتيجة لسيطرةِ الاستعمارِ علينا مدة طويلة .. معاركنا مع التخلفِ الذى أرغمنا عليه الاستعمارُ ، ومعاركنا مع أنفسنا ، مع نقطِ الضعف فينا..فهناك عاداتٌ لاتزالُ راسبةً وباقيةً من أيامِ الاستعمارِ الانجليزى وأهمها الإسراف.. كلٌّ واحدٍ منا ، بدلا من أن يفكر فى

نفسه ، يجب أن يفكر فى بلده ولا ينسى المجتمع الذى يعيش فيه .. ولابد أن يوَفر أكثر ، وتوفيرُه هذا يجعلنا نعمل أكثر ونرفعُ المستوَى..ولابد من إزالةِ الاستعمارِ الفكرى والتقليد ، . ودفع التبذير والإسراف عن رأسنا .. حتّى لا تخدعنا مظاهر الأمور عن حقائقها وحتّى لا ننسى على الطريقِ أهدافنا الأصليةَ .

لقد قمنا برحلةٍ طويلةٍ ، لكن كان من المهم أن نعودَ إلى قياس الطريق الذى قطعناه ، لكى نستعدَّ لمسئولية الطريق الذى يمتد أمامنا ..

●

والطريق طويلٌ وشاق .. ورحلتنا عليه ليست نزهةً نرَوِّحُ بها عن النفس ،وإنما رحلتنا عليه مشاقٌ ومتاعبُ وكفاحٌ وجهاد .. وكفاحُ الشعوب لا يستقرُّ عند نهاية .. إنه طريقٌ بعيدُ المدى .. مداه الحياةُ نفسُها ..

وإنى مؤمنٌ أنّ التاريخ يسيرُ إلى الأمامِ ولا يعودُ إلى الوراءِ أبداً ..

كافحوا واحملوا الرسالةَ والأمانة ..

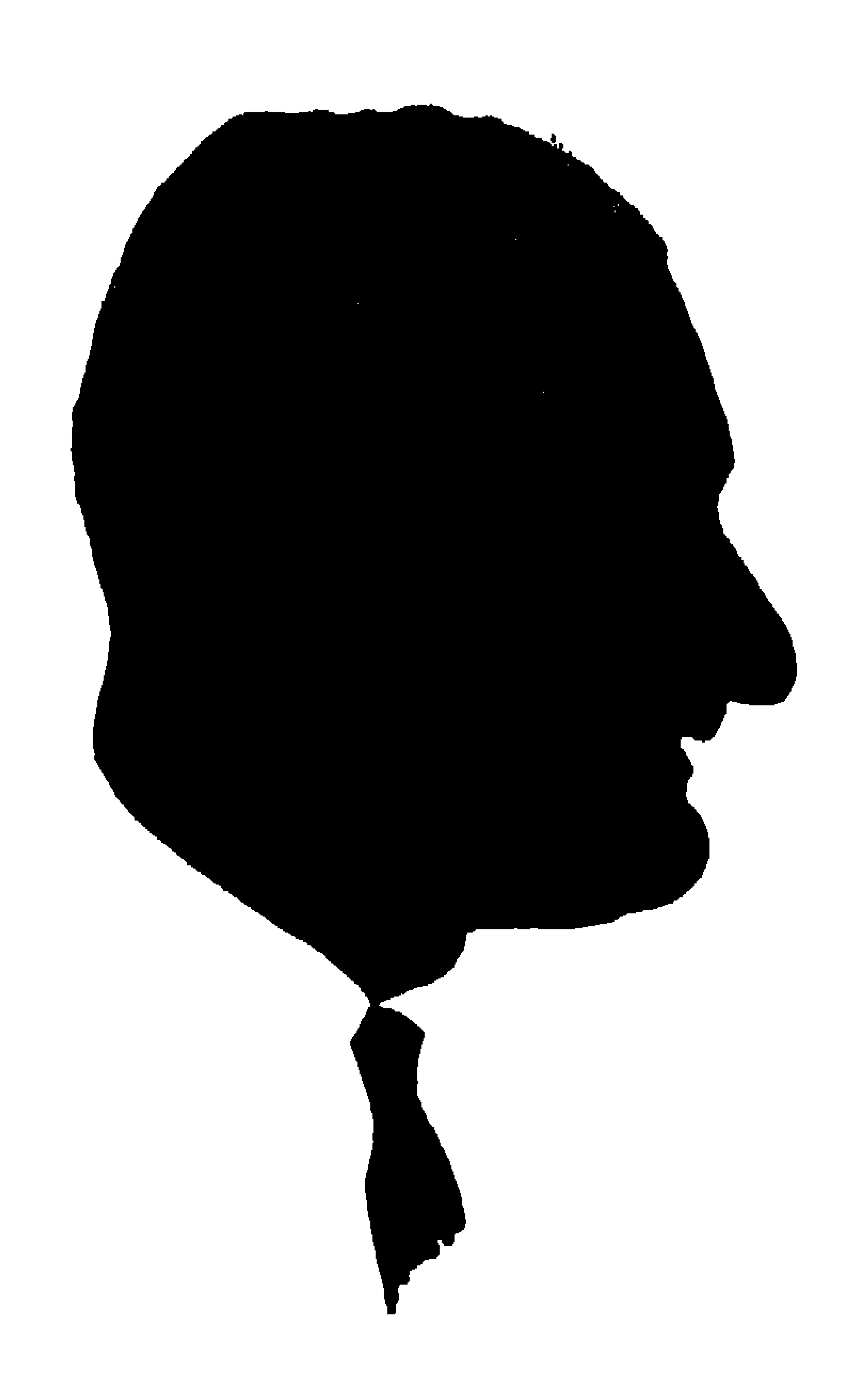
يا أبناءَ مصرَ .. لقد ثرتُ من أجلكم وسأموت فى سبيلكم

إذا ماتَ « جمال » ، فإنه يموتُ مطمئناً لأنكم كلكم
« جمال عبد الناصر »

لا تخافُوا الموت ، فالدنيا فانية
لن تكونَ حياةُ مصرَ معلقةً بحياة « جمال عبد الناصر »
بل هى معلقةٌ بكفاحكم ..

توقيع طبق الأصل
جمال عبد الناصر

الفهـــرس



المطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ٤٥١٢/١٩٧١

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر